

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵎⵎⵔ ⵉⵝⵓⵣⵓ

ⵕⵓⵏⵓⵎⵓⵏⵓⵔ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ

ⵕⵓⵏⵓⵎⵓⵏⵓⵔ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ ⵉⵝⵓⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOU D MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES



جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

إعداد: نسرين خربوش

الموضوع:

الواقع الأنثوي في القصة القصيرة النسائية الجزائرية

أعضاء لجنة المناقشة:

1- أ.د. آمنة بلعلی، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو رئيسة

2- أ.د. سامية داودي، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو مشرفة ومقررة

3- د. نوار ولد أحمد، أستاذة محاضرة صنف (أ)، جامعة مولود معمري تيزي وزو ممتحنة

السنة الجامعية: 2021-2020

شكر وعرافان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا على إتمام هذه الدراسة والذي ألهمنا الصحة والعافية والعزيمة، فالحمد لله حمدا كثيرا.

ونسعد بأن نتقدم بجزيل الشكر، ووافر الامتنان إلى الأستاذة المشرفة سامية داودي على كل ما قدمته لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.

كما نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل.

مقدمة

عرف المشهد الثقافي العربي والجزائري، حضورا بارزا للأقلام النسائية في السنوات الأخيرة باللغات الثلاث العربية والأمازيغية والفرنسية، وقد تبلّور وعي المرأة بالكتابة نتيجة مجموعة من العوامل يتقاسمها الاجتماعي والنسائي والسياسي والثقافي مثل الاهتمام بتعليم المرأة العربية وتطوير مهاراتها ونمو الحركات النسائية ونشأة الجمعيات الثقافية وإدماج المرأة في الممارسات السياسية.

اتخذت المرأة الجزائرية إذن الكتابة وسيلة لإثبات الذات الأنثوية والارتقاء بها فكريا وروحيا، والدفاع عن حقوقها، والتحرر من الأنساق الثقافية النمطية التي ساهمت في اختزال المرأة في الجسد، وذلك من خلال تعرية الواقع الاجتماعي وإظهار المخبوء. فعزفت الكتابة النسائية على أوتار المسكوت عنه بلغة جريئة، وطرحت مسائل حساسة لم يعهدها القارئ، لهذا ارتأينا دراسة الكتابة النسائية بالتركيز على موضوع المرأة في البحث الموسوم بـ «الواقع الأنثوي في القصة القصيرة النسائية الجزائرية» وقد اخترنا مجموعتين قصصيتين معاصرتين: الأولى مكتوبة باللغة الفرنسية للكاتبة الجزائرية جميلة لونيس-بلحاج والتي تحمل عنوان "المرأة في النور المعتم" (La femme en clair-obscur)، والثانية مكتوبة بالعربية للكاتبة ياسمينه بريهوم بعنوان "أوجاع النساء"، ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يأتي:

- الرغبة في معرفة الخصوصية التي يشير إليها الباحثون في أدب المرأة والتي تكمن في النظرة الأنثوية إلى العالم وإلى الحياة وإلى الأسئلة الكثيرة المطروحة في حياتنا اليومية، وقد تكون هذه النظرة مرتبطة بأمور عديدة في حياة المرأة (الأحاسيس واللاوعي والتاريخ والثقافة...)
- الكشف عن مدى تحكّم الكاتبة الجزائرية بفضائيات القصة القصيرة وكذا كيفية اشتغالها على قضايا المرأة بروية إبداعية جديدة تحاول صياغة الواقع (أو المرأة) صياغة ترتقي بها

إلى مجال تأسيس سرد نسوي جزائري له معالمه وأسسه الخاصة التي ينفرد بها عن الكِتابات الأخرى سواء الكتابة الاستعمارية أو الكتابة الذكورية.

ونهدف من خلال هذه الدّراسة إلى تبيان الرّكائز الأساسيّة للكتابة النّسائيّة في جنس القصة القصيرة، وتسليط الضّوء على واقع المرأة الجزائريّة من خلال النّصوص السّردية المفعمة بالرّفص والمدججة بالنّقد والتي قدّمت صوراً مؤثّرة عن الوضع الذي تعيشه المرأة الجزائريّة في حضور العادات الصّارمة وبعض المفاهيم التي تركز دونية المرأة. وعليه سنحاول الإجابة عن الإشكالية الآتية:

- كيف اشتغلت الكاتبتان على قضايا المرأة بواسطة السرد؟ وكيف ساهمت الكتابة النّسائيّة في بلورة الواقع الأنثوي في قالب قصصي؟

وقد تفرعت هذه الإشكالية الرّئيسة إلى أسئلة عدّة منها:

- كيف استطاعت المرأة /الكاتبة معالجة مسألة اضطهادها من طرف الرجل والمجتمع والمؤسسة الثقافيّة عامّة، وتمثيلها إبداعياً؟

- ماهي الأساليب التي اتّخذتها الكاتبتان من أجل الكشف عن المستور والمحظور في عالم المرأة؟ وما مدى إسهام الكتابة السّردية في المناداة بتحرير المرأة من التّرسبات الثقافيّة التي توارثتها الأجيال عبر الزمن؟

- هل عملت الكتابة القصصية النّسائيّة على استعادة الذات الأنثوية المغيبيّة؟

وللإجابة على هذه التّساؤلات اعتمدنا على طروحات النّقد التّسوي الذي سعى منذ نشأته إلى تحرير المرأة من القيود التي كبّلتها قروناً عديدة، والمطالبة بحقوقها، ومواجهة ظاهرة المفاضلة بين الذكر والأنثى في المجتمع، والتأكيد على أنّ هذه الظاهرة لا تتعلق بحتمية بيولوجية، إنّما مرتبطة بالتّراتبية الجنسانية، التي خلقتها الثقافة الاجتماعيّة من خلال

تقسيم العمل والأدوار الوظيفية بين الرجل والمرأة في المجتمع، كما اعتمدنا على المنهج النقابي الذي عكف على تحري الأنساق المضمرّة في النصّ الأدبي، والتعرّف على مرجعياتها وبيئتها وسلطانها المعرفية، ودورها في بناء النصّ وتشكيله وأسلوبه. فالتقدّ النقابي يعمل بمنهج نقدي إركيولوجي، مستفيداً من معطيات العلوم الإنسانية، على تقصي الأنساق النقابية ضمن المنسي واللامفكر فيه، والمهمّش، والمهمّل، والمحرمّ، والممنوع، وما ترسّب في الوعي، ومدى تأثيرها في بناء النسق الدلالي للنص.

قسمنا البحث إلى مقدّمة ومدخل وفصلين وخاتمة، درسنا في المدخل المعنون بـ "المرأة والكتابة في سنّ التقاعد" علاقة المرأة بالكتابة وطرحنا ظاهرة كتابة المرأة في سنّ مقدّمة باعتبار أنّها ظاهرة عالمية ملفتة، أمّا الفصل الأوّل المعنون بـ "أسئلة المتون القصصية" فقد تناولنا فيه القضايا الجوهرية في النصوص القصصية لجميلة لونيس-بلحاج وياسمينه بريهوم، وضمّ مبحثين هما: التسلّط والعنف (العنف الذكوري والمرأة ضدّ المرأة)، وانعدام الحرّية وفقدان الذات (التقييد والمنع، المرأة كيان مهمّش)، ثم عرجنا إلى الحديث عن الأساليب التي اتّخذتها الكاتبات من أجل كسر الاعتقادات التّمطية من خلال الفصل الثّاني المعنون بـ "الحفر في المحظورات واختراق الطابو" فأثرنا مسألة الشرف في المجتمعات العربية وفي الكتابة القصصية النسوية، من خلال المبحث الأوّل بعنوان "المرأة وقيم المجتمع المتناقضة"، أمّا في المبحث الثّاني الذي يحمل عنوان "المرأة بين الدّين والواقع" فقد تعرّضنا لتلك المفاهيم الدّينية المغلوطة المتمحورة حول المرأة، أمّا الخاتمة فكانت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال الفصلين ومباحثهما.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المراجع في الكتابة النسائية والنقد النقابي والفكر النسوي، أهمّها:

- السرد النسائي العربي - مقارنة في المفهوم والخطاب لزهور كرام.
- مقاربات في السرد - الرواية والقصة في السعودية لحسين المناصرة.

- المرأة واللغة لعبد الله الغدامي.

ولعلّ أهمّ الصعوبات التي واجهتنا في إتمام هذا البحث، هو تشعب عناصر الموضوع واتساعه، مما استدعى الدقّة لتجنب التكرار والاستطراد. وفي الأخير نرجو أن نكون قد ألممنا إلى حدّ معين جوانب الموضوع وكشفنا عن أهمّ النقاط، ونشكر الأستاذة المشرفة سامية داودي على صبرها الكبير معنا ورحابة صدرها، كما نتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة التي سوف نستفيد من ملاحظاتها وتصويباتها وإضافاتها.

بتاريخ: 2021/10/22

مَدْخَلُ:

المرأة والكتابة في سنّ التقاعد

المبحث الأول: علاقة المرأة بالكتابة:

المبحث الثاني: الكتابة في سنّ متقدمة:

إنَّ البروز الكبير للكتابة النسائية بشقيها الإبداعية وغير الإبداعية، كان نتيجة للإهمال التام الذي حاصر المرأة منذ عهود طويلة في مجتمع ذكوري لا يعترف بكيانها وكيونتها، وذلك بِحُكم هيمنة قيم ومعتقدات وثقافة متحيّزة، أسفرت عن ثنائية المركز والهامش؛ فقد ظلَّ الرجل لفترة طويلة يحتكر الكتابة الفكرية منها والأدبية، ويحكم سيطرته عليها، في حين كانت المرأة على هامش الحياة والكتابة، حيث حُرِّمت من حقوقها الإنسانية ومُنِعَت من دخول مؤسسة اللُّغة التي كانت مملكة تربع على عرشها الرجل (الفحل)، عملاً بوصية الأسلاف التي تنص على منع تعليم المرأة وتركها تتخبط في غياهب الجهل والامية، باعتبار أنَّ التَّعليم سبب في فسادها، والكتابة وسيلة لانحرافها وباب للعلاقات اللاشعرية، عكس الرجل الذي أكسبه التَّعليم رفعة وشرفاً.^{1*}

وعليه توكِّد رشيدة بنمسعود أنَّ الظروف التي أنشئت عليها المرأة من عبودية واستصغار، كانت سبباً وجيهاً في إتلاف مواهبها وكبح قدراتها العقلية، فالصَّمت الإبداعي الذي تعاني منه المرأة في غالب الأحيان لم يكن نتيجة عجز في قدرات المرأة إنّما كان بسبب السياقات الثقافيَّة والاجتماعية التي أحيطت بها والعقبات التي اعترضت طريقها²، بالإضافة إلى عامل التَّهميش والتَّغيب الذي مسَّ بعض الأصوات النسائية منذ أزمان بعيدة، حيث تتوصَّل ذات الناقدة في رحلة تتبعها للتأريخ الإبداعي للمرأة إلى نتيجة مفادها أنَّ الشَّعر النسائي هو أكثر ما ضاع من الشعر العربي، وتذكر رشيدة بنمسعود أنَّ «أصحاب الأخبار قد أهملوا الشَّعر النسائي إمَّا تعصبا، وإمَّا لكون شعرهن كان يتميِّز

¹ - ينظر: عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2006، ص111.

*- يقول خير الدين النعمان بن أبي النثاء في كتابه الإصابة في منع النساء من الكتابة: «أما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله، إذ لا أرى شيئاً أضر منه بهن، فإنهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشَّر والفساد، وأمَّا الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها، فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمر، وبيتاً من الشعر إلى عزب وشيئاً آخر إلى رجل آخر، فمثل النساء والكتب والكتابة كمثل شريبر سفية تهدي إليه سيفاً، أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فاللَّبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل و العمى فهو أصلح لهن و أنفع».

² - ينظر: رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2002، ص07.

بمميزات لم تكن من الأشياء التي كانوا يرغبون في معرفتها»¹. ومن خلال هذا الطرح يمكننا القول أنّ المؤسسة الثقافية قامت بعملية الفرز والتصنيف، فاحتفت بنتائج الرجل وإبداعاته، في حين تعاملت مع إبداع المرأة بدونية واحتقار، وهذا التحيز لا يزال قائماً ومستمرًا، والدليل على ذلك ما يشوب بعض الأعمال الإبداعية النسائية - التي أثبتت جدارة المرأة في فعل الكتابة- من نظرة شكّ وما يحوم حولها من شبهات، وتساؤلات حول هويّة كاتبها الحقيقي*.

إلا أنّه بعد محاولات التّهميش والطمس التي طالت المرأة جسدا وروحا وذاتا مبدعة، كسرت القيود وأصرت على التحرّر واقتحام كلّ الأماكن المحظورة عليها، فدخلت مجال الكتابة من بابها الواسع، واسترجعت اللّغة المغتصبة من طرف الرجل، وغيّرت سؤال هويّتها من موضوع إلى ذات فاعلة، ومن هامش إلى مركز.

المبحث الأوّل: علاقة المرأة بالكتابة:

إنّ الحديث عن تجربة المرأة في مجال الكتابة، حديث يشوبه الكثير من الارتباك والتّعقيد، ذلك أنّ ممارسة الكتابة عند المرأة مؤشّر قويّ على حضورها المستمر وإعلان عن وجودها كذات فاعلة وسط غياب سُبُل الحرّيّة في الأوساط العربيّة. فالكتابة عند المرأة رحلة بحث عن وجودها المغيب في الواقع، ومحاولة لفرض ذاتها وفق شروطها ومقاييسها الخاصة.

¹ - رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف، ص 07.

*- مثل ما حدث مع بعض الكاتبات المرموقات؛ سيمون دي بوفوار الفيلسوفة والرّوائية الفرنسية التي قيل إن جان بول سارتر هو واضع كتبها، وأحلام مستغانمي الكاتبة الجزائرية حين صدرت أوّل رواية لها ذاكرة الجسد والتي حظيت بشهرة واسعة فاتهمت بالسطو على عمل رجل، وكتبت الصحف أنّ الشّاعر العراقي يوسف سعدي هو من كتب الرّواية وفي الحقيقة لم يكن إلا مجرّد قارئ لنصوصها قبل نشرها.

يرى عبد الله الغدامي أنّ كتابة المرأة «ضرورة نفسية أكثر مما هي ضرورة ثقافية»¹ اقتضتها حاجة المرأة في الإفصاح عن قلقها الدائم حول وجودها، في حين ترى زهور كرام أنّ الكتابة فضاء واسع ومجال رحب يتيح للمرأة أن تنفث كل ما يجيش به صدرها من آلام وأحلام، فهي حين تكتب تصيغ تجربتها الذاتية ومكوناتها العميقة في محاولة منها لكسر نمطية الحياة التي عهدتها، والمشحونة بمظاهر التهميش والتغيب والإقصاء، فالكتابة وسيلة للانفلات من الواقع واختراق للعتبات الممنوعة.

لا تقف كتابة الأنثى عند حدودها الإبداعية فحسب، إنّما تتعدى ذلك لتكون وسيلة «انعتاق من ضغوط البيئة، وأحكام القيم والأعراف وضوابط الأخلاق والكتابة عندها مخاض وولادة ونقاء»² حسب تعبير الأخضر بن السايح، حيث تأخذ الكتابة على هذا الأساس منحى البوح والإفصاح عن خلجات النفس والبحث عن سبل الخلاص من الأوضاع الاجتماعية التي تخنق حرية المرأة وتضعها في زاوية العتمة، لذا تحمل النصوص النسائية طابع الرفض والثورة على (الآخر) والذي لا يتمثل في الرجل فحسب إنّما أيضا في ذلك الإرث الحضاري والثقافي الذي حطّ من شأن المرأة وأنزلها منزلة دنيا.

سرد الأنثى بالدّرجة الأولى سرد لأوجاعها ووسيلة للتنفيس عن همومها ومشاعرها المكبوتة، تكتب أحلام مستغامي في رواية ذاكرة الجسد: «ففي النهاية، ليست الروايات سوى رسائل وبطاقات، نكتبها خارج المناسبات المعلنة.. لنعلن نشرتنا النفسية، لمن يهمهم أمرنا»³ وتواصل قائلة: «عليك أن تختار ما هو أقرب إلى نفسك، وتجلس لتكتب دون قيود كل ما يدور في ذهنك. ولا تهم نوعية تلك الكتابة ولا مستواها الأدبي.. المهم الكتابة في حدّ ذاتها

¹ - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص136.

² - الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011، ص16.

³ - أحلام مستغامي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، الطبعة الخامسة عشر، بيروت، 2000، ص11.

كوسيلة تفرّغ، وأداة ترميم داخلي..¹ « فبالإضافة إلى كون الكتابة مجالا تتحرّر من خلاله المرأة من قيود المجتمع وأعرافه وإكراهاته، ووسيلة لسرد رغباتها وتطلعاتها ومخاوفها وآلامها، فهي تشخيص لملاحم الكبت والحرمان الذي تعاني منه المرأة في الواقع الاجتماعي. لذا تأخذ الكتابة دور تصفية المشاعر وتطهير النّفس من كل الشوائب، تقول ذات الكاتبة « لا تبحث كثيرا.. لا يوجد شيء تحت الكلمات. إنّ امرأة تكتب هي امرأة فوق كل الشبهات.. لأنّها شفافة بطبعها. إنّ الكتابة تُطهّر ما يعلق بنا منذ لحظة الولادة.. ابحت عن القدرة حيث لا يوجد الأدب!»²

وتبعاً لذلك جاءت التّجربة الإبداعية عند الكاتبات من أجل المناداة بالحرية واسترجاع الذات والهوية المسلوبة في المجتمعات الذكورية، ومجابهة العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة، ورصد مظاهر الظلم الذي تعاني منه المرأة وعليه يرى إبراهيم أحمد ملحم أنّ الكتابة بالنسبة للمرأة هي «... الحياة التي تجلّت بعد تهмиشها، ومحاربتها. وتشكّلت إثر قلقها، واستفزاز مشاعرها؛ لتنتشل الذات من هوة العزلة والخيبة والانكسار»³. فتتخذ الكتابة بعداً آخر غير الجمالية والإبداع ألا وهو بُعد الحرية والوجود والكينونة مثلما تعبّر عن ذلك الكاتبة مليكة مقدم «الكتابة بالنسبة لي حاجة وجودية، وبالنسبة للمرأة عموماً هي الوسيلة التي تمكّنها من فرض حرّيتها ومقاومة اليومي الذي يكاد يبتلعها برداءته»⁴ وتصرّح الروائية ديهية لويز بأنّ الكتابة حاجة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها فتقول: «الكتابة بالنسبة إليّ متعة قبل كل شيء، أسافر عبرها إلى كل المتاهات الممكنة في النّفس البشرية، وأكتشف

¹ - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 61.

² - المصدر نفسه، ص 335.

³ - إبراهيم أحمد ملحم: الأنثوية في الأدب النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2016، ص 44.

⁴ - مليكة مقدم: Interview dans l'article de kheira Bouche, passions heurtées, El-

Moudjahed, 15 Juillet 1992, نقلا عن مطبوعة بيداغوجية للأستاذة سامية داودي بعنوان "الكتابة النسوية"، موجهة لطلبة الماستر، تخصص: "الأدب والمجتمع الجديد"، جامعة مولود معمري، 2013/2014.

نفسى والآخرين أكثر من خلالها. لا شيء أجمل من لحظة أتداخل فيها مع الكلمات وهي تتدفق من داخلي وتتشبث بالأوراق، إنها اللحظة التي تحررني من كل شيء، أصل من خلالها إلى نشوة داخلية رائعة. أشعر فقط أنّها ضرورية كي أستمر في الحياة، مثلها مثل الأكل أو الشرب أو القراءة لا يمكن الاستغناء عنها»¹.

فالكاتبة فضاء خصب يسمح للكاتبة برسم واقع نسائي مغاير وجديد وفق شروطها الخاصة ومنظورها الخاص، لمواجهة تلك الأنساق الثقافية المتوارثة، وبناء واقع يتماشى ورغبات الأنثى وطموحها؛ وهذا ما صرّحت به الكاتبة الجزائرية حفصة زناي كوديل: «أكتب لأنتفض ضد حياة مسطرة وأثور ضد نظام مفروض»²، وتفصح الروائية الأردنية سميحة خريس عن علاقتها بالكتابة قائلة: «ما زلت أكتب لأحيا، وفي محاولة لقراءة العالم على هواي، وكما أتمنى وأعتقد، أمّا التّوقف عن الكتابة فهذا أمر مفزع، ماذا يعني؟ هو موت من نوع أليم وخاص.. لا أتمنى أن يحدث لي قبل الموت الفيزيائي»³ نستشف من هذه العبارة معادلة فعل الكتابة للوجود والحياة، فمن دونها تنتهي الحياة الحقيقة للكاتبة لترجع لهيئتها السابقة (جسد بلا روح بلا كيان ولا هويّة).

وهذا ما يحيلنا إلى تلك العلاقة الروحية المقدّسة التي تتسج بين فعل الكتابة والمرأة حيث تقول الأدبية اللبنانية إيميلي نصر الدين: «ثمة فعل من أفعال العشق الغريب يقوم بيني وبين الكلمات. ندخل سويا الغرف السريّة، ونغوص في دهاليز لولا حفر الكتابة في الوعي لبقيت مظلمة، ومطوية. وحين ندخل، أبصر كيف تشعشع المصابيح، وتضاء الأنوار

¹ - ديهية لويز: نقلا عن: بشير مفتي: جزائريات ينحزن إلى الكتابة أولا...والأنثى ثانيا، الموقع: <https://langue-arabe.fr> ، نشر بتاريخ: (2014/12/18)، تاريخ الاطلاع عليه: (2021/08/22).

² - حفصة زناي كوديل: cité par Jean de jeux : la littérature de la langue française au Maghreb, literary criticism, 1994, p184

موجهة لطلبة الماجستير، تخصص "الأدب والمجتمع الجديد"، جامعة مولود معمري، 2013/2014.

³ - سميحة خريس: نقلا عن إبراهيم أحمد ملحم: الأنثوية في الأدب النظرية والتطبيق، ص45.

في السّردايب والأقبية، وكيف تتحول الكلمات إلى قناديل معلقة، وتوزع الفرح، تنتشر الانسراح، وتحرر الجسد والروح معا، من كل قيد وثقل¹ فجوهر الكتابة بالنسبة للمرأة هو الانفلات من الواقع المعاش والارتقاء في حضن الخيال وإطلاق العنان للأفكار والرغبات المقموعة وقول المسكوت عنه، وتحريك الساكن وتجاوز كل المحظورات الاجتماعية.

الكتابة تتيح للمرأة الخروج من نفق ظلامية المجتمع، والتّخلص من الظلال الكثيفة التي أحيطت بها، والاندفاع نحو مناطق العتمة والمجهول، واستتطاق المسكوت عنه وخرق الأعراف السائدة وتفجير المكبوت والخروج عن نمطية الأدوار التي فرضتها الشروط الاجتماعية والأخلاقية على المرأة دون مساءلة أو محاكمة، وذلك من خلال التّخفي وراء شخصيات سردية حبرية وورقية.

تقول **سميحة خريس** حول أهمية الإبداع في حياة المرأة: «بإمكاننا عبر كلمة الفن أن نقول كثيرا من الأشياء بشجاعة. ويمكن لعواطفنا الدّقيقة، حتى تلك التي لا نعترف بها أو لا نشعر بدورها في حياتنا، أن تنطلق وتعبّر وتعيد تشكيل حيوات أشخاص متخيلين هم نتاج عقولنا وخبراتنا، كما أنّ الكثير من المعاني تظلّ حبيسة الروح لا يمكن التّعبير عنها إلا عبر الفن.²» أي أنّ رسم عالم إبداعي مغاير ومخالف للواقع السائد فرصة المرأة في استعادة حريتها المنهوبة، أي أنّ الكتابة -في هذا السياق التّعبيري- مرتبطة أكثر بالمجال الذي يتحرّر من خلاله الإنسان، وحين كان التّخييل مكانا للحريّة، فقد وجدت فيه المرأة الفضاء المناسب لتجريب حريتها وانعتاقها، ذلك لأنّ في المتخيّل تأخذ المرأة المكانة التي يرفضها

¹ - إيميلي نصر الدين: نقلا عن حمدة خميس: لماذا تكتب النساء تأملات في إشكالية إبداع المرأة، الموقع: <http://al-nnas.com/ARTICLE/HKxames/22ez.htm> نشر بتاريخ: 2009/03/22، تاريخ الاطلاع عليه:

(2021/07/23)

² - سميحة خريس: نقلا عن إبراهيم أحمد ملحم: الأنتوية في الأدب، النظرية والتطبيق، ص45.

الواقع¹. وعلى هذا الأساس فإن الكتابة الإبداعية بمختلف أشكالها تمنح الكاتبة حرية أكبر فنقول ما لا نستطيع قوله في وجه المجتمع، فتصرّح فضيلة الفاروق على لسان الساردة "خالدة" في رواية "تاء الخجل": « أنكب على أوراقى لأعيش فصول حياة تختلف»².

تتميّز النصوص النسائية، حسب الباحثين، بالتجاوز والاختراق وكسر المؤلف والسائد، وكذا البوح بحميمية الذات وأسرارها والتعبير عن همومها وانشغالاتها، « وإذا كانت المرأة تكتب عن ذاتها، فهي تكتب عن حياتها وعن طفولتها، كأنها تشعر بفقدان الذات، وأنّ الثقافة هي التي سلّبت منها ذاتها. ليس غريباً أن تبقى المرأة المبدعة ملتزمة بالضمير (أنا)، ولا تريد أن تبرحه بغية إثبات حضورها، وتعويض هذا التغييب الذي طالها ذاتاً وروحاً وفكراً وجسداً، مثلما يجب أن ينظر إلى المرأة بوصفها فاعلاً، وبوصفها فعلاً، وأنموذجاً، ولغة»³، ويبدو أنّ استخدام الضمير المتكلم (أنا) دليل على أن المرأة استرجعت ذاتها بحمولاتها الجوهرية، فبعد أن كانت المرأة موضوعاً يملأ بها الرجل صفحاته البيضاء في وصف جانبيها الحسّي الجسدي كأداة متعة وإغراء وكذلك « تتنافس الشعراء والمبدعون والمفكرون في وصف جمال هذا الجسد إلى حد إخراجها من وحدته/كليته، والتركيز على أجزائه حسب منظور كل مبدع»⁴، أصبحت ذاتاً مستقلة وفاعلة من خلال امتلاك سلطة الكتابة.

إنّ كتابة الأنثى عموماً بمثابة أولى خطوات التحدي التي انتهجتها المرأة ضد السلطة الذكورية، من أجل تهديم الصور النمطية والأفكار الراسخة، وإبراز جوهر الأنثى المغيب واسترجاع قيمها الإيجابية، ف« الإبداع عند المرأة يفهم إذن، باعتباره واجهة تحريرية من التّصوّرات الجاهزة، وينظر إليه على أساس أنّه مظهر من مظاهر التحرر من سلطة

¹ - ينظر: زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم و الخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، 2004، الدار البيضاء، ص19.

² - فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، ص33.

³ - الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، ص35.

⁴ - زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص12.

الأحكام الموروثة»¹ وفضاء للتصريح بهويّتها المفقّدة وإعلان عن حضورها كذات فاعلة ومنتجة في مؤسسة الكتابة والإبداع.

المبحث الثاني: الكتابة في سنّ متقدّمة:

تزامن فعل الكتابة عند المرأة مع زمن تبلور وعيها بحقوقها المهضومة، وإدراكها لنفسها جسدا وروحا، لها قدرات عقلية وفكرية لا تختلف عن قدرات نظيرها الرجل، وجاء هذا تبعا لتحسن الظروف الاجتماعية، وكذا التّعليم الذي خلق للمرأة فرصة الولوج إلى مناصب مهمّة في المجتمع، والخروج عن نمطية الحياة التي فرضت عليها وظيفة بيولوجية محضّة، وأكسبها حيّزا من الاستقلالية الشخصية.

إلا أنّ عزوف المرأة عن الكتابة ظلّ قائما، فرغم وجود بعض الأصوات النسائية اللاتي أبدعن في مختلف الأجناس الأدبية، نلاحظ تفاوتاً واضحاً من حيث المستوى الكميّ بين نتاجات الرجل ونتاجات المرأة، وهذا لاعتبارات تاريخية واجتماعية من شأنها تقليص فرص المرأة في العمل الإبداعي، وكذا ممارسات المؤسسة الثقافيّة التي عملت على حجب إسهامات المرأة وتهميشها*

إنّ البحث في قضية الكتابة النسائية جعلنا نقف عند مسائل ذات أهمية بالغة في رسم مسار هذا الأدب واستمراريته، منها ظاهرة الكتابة بعد التّفَاعُد عن العمل كظاهرة ملفّقة للانتباه مرتبطة بالمرأة أكثر من الرجل، والتي تمخّضت عن أسباب ودوافع مختلفة، أبرزها الدور الاجتماعي الموكل للمرأة والذي يجعلها خارج حيّز الكتابة.

¹ - زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص 34.

* - يطرح العديد من الباحثين ومن بينهم الخمار العلمي، في إطار دراسة بداية الكتابة النسائية بما يسمى مرحلة الصمت أين نشهد حسب هذا الزعم غياب تام للأصوات النسائية، في المقابل هناك من الدارسين من يدحض هذا الطرح باعتبار أن الإبداع النسوي يضرب جذوره أعماق التاريخ، وقلة النتاجات مرجعه إلى التّعقيم الذي ظل مخيما على المرأة منذ قرون.

أثارت زهور كرام قضية انقطاع المرأة عن الكتابة بعد الإبداع الأول أو الثاني فطرحت مجموعة من الأسئلة الجوهرية من أجل تتبع دوافع هذا الانقطاع والتمثلة في الوظيفة البيولوجية-الاجتماعية للمرأة التي تحول دون إتمام مشروع الكتابة، وكذا الاندماج في الحياة العملية والتخصصات الأكاديمية¹، فإتساع دائرة التزامات المرأة من شأنه أن يعيق السّير الحسن للأعمال الإبداعية، ومثل هذه الأسباب قد تجعل المرأة تتأخر في ولوج عالم الكتابة، فلا عجب إذا ما صادفنا أسماء كاتبات عربيات وغربيات لم ينتجن أي أثر في الساحة الإبداعية إلا بعدما يقارب سنّ الستين، فما هي الكاتبة (ستيفاني كويل) لم تنشر روايتها إلا بعد تقاعدها وتفرغها للكتابة، وكذا (لورا اينغلس) صاحبة "بيت صغير في البراري" و(هيلين هوفين) التي كتبت "وسيدات النادي" وهي في الثامن والثمانين من عمرها، وكذا (مارغريت يورسنار) و(مارغريت بوراس) و(ايزابيل الليندي) اللاتي قدّمن أجمل أعمالهن الإبداعية في سنّ السبعين.

الكتابة كما نعلم تحتاج وقتا طويلا وظروفا مناسبة، وجوّا ملائما ومريحا، وهذه المسألة تبدو عادية مادام الأمر متعلّقا بالرجل، لكن هل تجد المرأة الكاتبة مثل هذه الظروف وهذا الوقت، وهي مسؤولة عن البيت والزّوج والأبناء في مجتمع لا يتيح للمرأة تسهيلات للتفرغ للكتابة ولا يتسامح كثيرا مع تقصيرها، فهل فعلا تحتاج المرأة لغرفة خاصة ومال لتمارس الكتابة على حدّ قول (فرجينيا وولف)، هذا إذا امتلكت المرأة العربية غرفة خاصة تمارس فيها طقوسها الإبداعية، هل يمكنها أن تحظى بجوّ هادئ يسمح لها بتتبع خيوط أفكارها وتجميعها دون أن تتلاشى مع صراخ الابن وتدمّر الزّوج؟

لهذا نجد الكثير من النّساء يقدّمن تنازلات في بداية مشوارهن للحفاظ على الاستقرار الأسري الذي بات يهدده قلمها فتخرج من العالم الذي تسالت إليه لتؤدي مهامها المؤكّلة إليها

¹ - ينظر: زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص58.

اجتماعيا. وتمثّل الكاتبة الجزائرية زليخة السعودي مثال المرأة الكاتبة التي تخلّت عن حملها في الكتابة مباشرة بعد النّص الأوّل "الطوفان" والذي ظلّ غير مكتمل.¹

إنّ ظاهرة الكتابة في سنّ متقدمة عند النّساء ظاهرة عالمية تستدعي الوقوف عليها واستقصاء أسبابها والكشف عن ملابساتها، فرغم حاجة المرأة للكتابة، إلا أنّها أضحت واحدة من الأحلام المؤجلة التي تأتي بعد جملة من الأولويات التي تطلبها الحياة الاجتماعية للمرأة، حيث تقول الكاتبة اللاتينية (إيزابيل الليندي)* حول بداياتها في الكتابة « لقد بدأت الكتابة في الوقت الذي ترفو فيه النساء جوارب أحفادهن».²

إنّ تعنّز النّساء في مجال الكتابة، لا يعني قصورهن أو عدم امتلاك الكفاءات اللازمة لخوض التجربة الإبداعية، إنّما تشكّل العائلة والقيم السائدة في المجتمعات سداً منيعاً وعائقاً حقيقياً يحول دون بلوغ أهداف المرأة في الكتابة. ولذلك فإنّ الكاتبات اللواتي انتصرن لتجربتهن الإبداعية وأكّدن حضورهن في السّاحة الثقافيّة، خضن صراعا طويلا مع المجتمعات التي تحكمها عقليات محافظة تعتبر أنّ الكتابة عمل لا يليق بالمرأة. وهذا ما جعل عدد مهمّ من الكاتبات العربيات والغربيات يلجأن إلى الكتابة تحت اسم مستعار**، «تتقدم الكاتبة إذن، مقنعة، مستورة تلعب دور الإخفاء في مجال الإبداع حتى لا تترك العقلية السائدة وتخرق الذهنية المحافظة»³ لأنّ الكتابة عند المرأة ممارسة لفعل العربي

¹ - ينظر: فايد محمد: الرواية النسائية الجزائرية المكتوبة بالعربية (1970-2015)، دراسة بيبليوغرافية، المركز الجامعي، تيسمسيلت، المعيار، العدد 13، جوان 2016، ص07.

* - دخلت الكاتبة التشيلية إيزابيل الليندي الحياة الثقافيّة العالمية بروايتها بيت الأرواح عام 1982م، بعد أن تجاوزت الأربعين من عمرها، وبعد فترة قصيرة أضحت واحدة من أشهر كاتبات العالم.

² - إيزابيل الليندي: نقلا عن حمدة خميس: لماذا تكتب النّساء تأملات في إشكالية إبداع المرأة، الموقع: <http://al-nnas.com/ARTICLE/HKxames/22ez.htm>.

** - تعتبر ظاهرة كتابة المرأة باسم مستعار ظاهرة عالمية تكون وراءها عوامل اجتماعية ونفسية مختلفة، ولنا في السياق الغربي أمثلة متعددة "جورج إليوت، جورج صاند" وغيرهما، كما قد يلجأ الرجل الكاتب أيضا للاختباء وراء اسم مستعار، من أجل تمرير أفكاره وتوجهاته السياسية.

³ - زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص56.

والكشف وتجاوز للمحظورات التي تتنافى مع أعراف المجتمع. وعليه تؤكد الكاتبة فضيلة الفاروق: «اسمي الحقيقي فضيلة ملكمي، اضطررت لتغييره لأنني تعرضت لمضايقات بعد أن فضحت المستور وتحدثت بصوت من لا صوت لهم، نقلت واقع امرأة جزائرية، بطريقة درامية فعلا لكن كان ذلك هو الواقع. حتى عائلتي لم تتج من المضايقات لأنني تحدثت عن أشخاص حقيقيين وفضحت الآلة التي كانت تحركهم وانتصرت للمظلومين، تغيير اسمي جاء لضرورة أمنية فقط خوفا على عائلتي والمقربين».¹

تمثّل القيم والتقاليد المتعارف عليها اجتماعيا أحد أهم العوامل المثبطة للإبداع النسائي، فبسبب المفاهيم الراسخة في الذهنية الاجتماعية لا تزال المرأة ترتعش خوفا من اقتحام مجال الكتابة باعتبارها أحد الخروقات التي بسببها ترتفع أصابع الاتهام نحوها. كما تلعب أساليب التنشئة الاجتماعية بزرع النقص في نفسية المرأة منذ سنواتها الأولى، وتوجيهها نحو أدوار نمطية معينة (زوجة وأم)، « فكلما تجاوزت نطاق المجال المخصص لها، والمقنن بالأعراف والتقاليد والقوانين والدساتير، كلما اتهمت بالفساد»²، هذا ما يجعل المرأة التّواقة لتطوير تجربتها الفنية تتحلى بالتّريث قبل أن تخطو أولى خطواتها، وتأجيل هذا الحلم إلى ما بعد إتمام المهام الموكلة إليها اجتماعيا.

تصطدم شروط الكتابة بمؤسسة الزّواج والعائلة وما ينجّر عنها من انشغالات ومسؤوليات، وحيّز المكان هو أولى الشروط التي ينبغي توفرها للكتابة، حيث تقول أحلام مستغانمي على لسان بطلة روايتها "شهيا كفراق": « ككل متعة، الكتابة تنهب ولا توهب، عليك أن تهرب لمواعدها في الأماكن التي لن يفاجئك فيها أحد»³، وهذا ما لا يتوفر عادة

¹ فضيلة الفاروق: في حوار مع عيسى بوقانون، الموقع: <http://arabic.euronews.com2011/09/19/fedela> - alfarouk-literature-algeria-womens-rights ، نشر بتاريخ: (2011/09/19) تاريخ الاطلاع عليه (07/08/2021)

² زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص15.

³ - أحلام مستغانمي: شهيا كفراق، هاشيت أنطوان (نوفل)، لبنان، 2019، ص 24.

للمرأة بالنظر للسياقات الخارجية المحيطة بها. وإلى جانب هذا قد يعود سبب تأخر المرأة في ولوج عالم الكتابة إلى الاندماج في الحياة العملية والوظيفية والتخصصات الأكاديمية المختلفة التي قلصت فرصة التفرغ للأعمال الإبداعية في سنّ ينبغي أن يكون مفعما بالحيوية والعطاء والنشاط والحماس للحياة والقدرة على الابتكار والإبداع، ومن الكاتبات الجزائريات اللاتي خضن تجربة الكتابة بعد التقاعد عن العمل الوظيفي ربيعة هاشمي التي كتبت روايتها الأولى بعنوان " في يوم ستعود أُمي " (un jour ma mère reviendra) بعد تقاعدها عن العمل كأستاذة بكلية علوم البيولوجيا في الجامعة، كذلك الأمر بالنسبة للكاتبة جواهر أمحيص أكسيل التي كرست نفسها بالكامل للكتابة بعد مسيرة طويلة من التّعليم والتّدرّيس.

إلا أن تجاوز سنّ الشباب لا يعني بالضرورة تجاوز سنّ الإبداع، فالعديد من الكاتبات خضن تجربة الكتابة في سنّ متأخرة بعد إتمام الأولويات التي فرضتها الحياة على المرأة من إنجاب ورعاية وتربية وتدريب، فبعد أن تيقنن أنّ شعلة الكتابة ظلّت متقدّدة في دواخلهن وأنّها الصيغة الوحيدة التي يحققن بها ذواتهن، اخترن تجربة الإبداع وأثبتن كفاءتهن بكل جدارة. فمن الملاحظ أنّ أغلب هذه التجارب الإبداعية تتسم بنوع من النضوج والتطوّر.

إنّ النتاجات الفنية التي وضعتها الكاتبات في سنّ متقدّمة تتميز بنظرة ثاقبة وعميقة وبعيدة عن السطحية، وذلك بحكم التجربة الحياتية والحنكة والخبرة التي من شأنها إثراء الأعمال الإبداعية، وهذا ما نصادفه في كثير من الأعمال الجزائرية والعربية والعالمية ومنها المجموعة القصصية التي اعتمدها في دراستنا (la femme en clair-obscur) لصاحبته جميلة لونيس بلحاج التي ولجت عالم الإبداع بعد تقاعدها عن العمل الوظيفي، فرغم بساطة لغة قصصها المتمحورة كلّها حول المرأة في المجتمع، المطلقة والأرملة والمغتصبة والمضطهدة والمستغلة، إلا أنّها تبرز عمق الرؤية لدى الكاتبة ودقة الطرح الأنثوي وحسن الإنصات لانشغالات المرأة في الأوساط الجزائرية وبراعة التقاط تفاصيلها.

إنّ الإبداع النسائي بعد بلوغ سنّ التقاعد بمثابة عصير الخبرات والتجارب الحياتية فهو يحفل بفلسفة ووعي إنساني من شأنهما أن يسهما في تطوير الإبداع نحو الأفضل والأبهى والأرقى، حيث يرتبط الإبداع بالنضج النفسي والروحي والعقلي، وخبرة المبدع تزيد مع تقدّم العمر عكس مرحلة الشباب التي ترتبط أكثر بالتجارب العاطفية والوجدانية، لكن مع تقدم السنّ يحدث لدى المبدع الكثير من التغيّرات بفعل مسؤوليات الحياة وتراكمها وغناها وشموليتها وتتوّعها ممّا قد يؤثر إيجاباً على مهارته اللغوية وحذقه وإتقان إنشائه وتطوير أدوات عمله وتخصيب خياله، عكس المجالات الأخرى أين تضعف الكفاءة ويقلّ الإنتاج بعد التقدّم في العمر، تصبح موهبة المبدع أكثر نضجاً وإبداعه أكثر جمالاً، فالتجارب المتنوّعة تعمل على تنمية الموهبة وصقلها وازدهارها.

إنّ كتابة المرأة بعد سنّ متأخرة وبالأخصّ بعد التقاعد عن العمل الوظيفي الذي شغل معظم وقتها، هي رغبة لاشعورية في اكتساب حياتها معنى آخر وقيمة غير تلك التي كرسّت لها، وهو نوع من تذوق الحياة مرتين لحظة عيشها واقعيًا ولحظة استرجاع أصدائها في فضاء الذكريات التي تخلقه الكتابة، فاللجوء إلى عالم الإبداع إصرار على الحياة، تصارع فيه المرأة الفراغ الداخلي الذي تعاني منه غالباً بعد تقلص الانشغالات لتواجه به فترة سنّ اليأس الذي يؤثر سلبيًا على النساء.

تطرقت نوال السعداوي إلى نظرة المجتمع للمرأة ومدى تأثير سنّ اليأس عليها حيث تقول « ينكمش عمر المرأة عن عمر الإنسان الطبيعي ويصبح ثلاثين عاماً فقط تعيشها (هذا إذا أسعدها الحظ واستطاعت أن تتجو من المشاكل العديدة التي تترصص بها)، فإذا ما انقطع الطمث قيل إنّها وصلت سنّ اليأس وأصبحت وكأنّها انتهت حياتها»¹ وهنا تبدو الكتابة ذات بعد نفسي شعلة أمل تصر فيه المرأة على العطاء وكسر الاعتقاد السائد وتغيير النظرة.

¹ نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1990، ص93.

الفصلُ الأوَّلُ:

أَسْئَلَةُ الْمُتُونِ الْقَصَصِيَّةِ

المبحثُ الأوَّلُ: التسلُّطُ والعنفُ:

1- العنفُ الذكوريُّ:

2- المرأةُ ضدَّ المرأةِ.

المبحثُ الثاني: انعدامُ الحرِّيَّةِ وفقدانُ الذاتِ:

1- التقييدُ والمنعُ:

2- المرأةُ كيانُ مهمَّشٍ:

شهدت المرأة في المجتمعات العربية والغربية تهميشاً وتسلباً على مدى قرون طويلة، من قبل الرجل الذي تشبّع بفكرة دونية وانحطاط المرأة، حيث تبلورت مجموعة من الأساطير والتصورات الفلسفية والخطابات الإبداعية التي حطّت من شأن المرأة واختزلت وجودها كمجرد أداة إرضاء وإمتاع الرجل. غير أنّ حياة المرأة العربية تغيرت بعد مجيء الإسلام، فأصبحت أكثر حظاً من مثيلاتها في الأقطار الغربية؛ حيث رفع القرآن من شأنها وحفظ حقوقها الإنسانية والمدنية، وأوصى بها خيراً أمّا كانت أو أختاً، زوجةً أو ابنةً.

كرّست الشريعة الإسلامية السليمة مبدأ المساواة بين الجنسين ذكراً وأنثى في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) (01) سورة النساء، الآية (01). تشير هذه الآية إلى التكامل الذي أوجده الله تعالى بين المرأة والرجل، فلا استمرار للحياة إلا بوجودهما وتكاملهما، ويقول قاسم أمين في هذا الصدد: «سبق الشرع الإسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة للرجل؛ فأعلن حرّيتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، وخولها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشراء وهبة ووصية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها».¹

لكن وإن زالت عادة وأد البنات، وزالت العادات التعسفية والأحكام الجائرة في حقّ المرأة، لم تنزل الأفكار التي رسّخها المجتمع الذكوري في الذهنيات، حتى عند المرأة نفسها التي أصبحت تؤمن بكذبة قصورها عن الرجل في الملكات الذهنية والقدرات الجسدية، فظلت بذلك حبيسة العادات والتقاليد التي فرضت عليها الخضوع لسلطة الذكر وهيمنتته. وعليه فإنّ

¹ - قاسم أمين: تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012، ص12.

المجتمع الذكوري أصبح يئد المرأة معنوبا بعدما وأدها في السابق جسديا، كي يضمن لنفسه استمرارية السلطة، فالغاية واحدة وإن اختلفت الوسائل.

إن قضية تحرير المرأة من القضايا الشائكة في العصر الحديث، حيث نالت اهتماما بالغا من الباحثين المشتغلين في العلوم الاجتماعية والدينية والإنسانية على اختلاف مشاربهم وأهدافهم المعلنة منها والخفية. فهناك من يقول بضرورة التزام المرأة ببيتها وحجابها وتربية أطفالها، في حين علت أصوات تدعو إلى تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل في الحقوق والوظائف المهنية - لما يفرضه المجتمع والمؤسسات العامة والخاصة من تهميش وإجحاف في حق المرأة- وكذا الدعوة إلى مشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية دون قيود على أساس أن نهضة الأمم يصنعها الرجال والنساء على حدّ سواء.

تمثل الكتابة الإبداعية أحد الركائز الأساسية التي اعتمدها الحركات النسوية العالمية للمطالبة بحقوق المرأة والتّدييد بما آلت إليه من ظروف، وعليه «شكلت الكتابة السردية بيئة خصبة لحضور الفكر النسوي، وترسيخ مفاهيمه»¹، للتّضال ضد مظاهر القمع والاضطهاد الذي تشهده الأنثى، كما أنّها شكل من أشكال التحرّر الذي تبنته المرأة من أجل إثبات حضورها المستمر في المجتمع، وفرض كيانها ووجودها دون رقيب. وهذا ما جعل النصوص القصصية النسائية مرآيا عاكسة لأشكال معاناة الأنثى وكاشفة لمظاهر توترها النفسي، وتآزم وجودها الاجتماعي في مجتمع تُهيمن عليه مظاهر السلطة الذكورية الأبوية المتعالية والقامعة للمرأة.

إنّ البحث في المتون الحكائية لنصوص المدوّنة الجزائرية في جنس القصة القصيرة، يسمح بكشف أسئلة جوهرية تمثل بالنسبة للكاتبات دافعا رئيسا إلى الكتابة الإبداعية. ولأنّ الموضوعات النسوية ذات الصلة بعالم الأنوثة تطغى على الكتّابات النسائية، قد تجعل

¹ - حمد البليهد: مقاربات في السرد النسوي، المركز الثقافي للكتاب، ط1، المغرب، 2017، ص07.

البعض منّا يتجرأ على اتهام المرأة بمحدودية أفقها على مستوى اهتماماتها بما هو نسائي فقط (كالزواج والطلاق والأسرة...) لكننا سنجيب بقول نوال السعداوي في هذا الصدد حيث تقول: « إن هذه الأمور الشخصية والخاصة جدًا والصغيرة جدًا كالأكل والتبول وممارسة الجنس والخروج كل صباح وركوب الأوتوبيس التي تحدث في حياة الرجال والنساء اليومية هي التي تصنع الدولة وهي التي تصنع السياسة العليا في كل دولة¹ » فهذه الأمور التي نعتبرها جزئية وغير مهمة هي في الحقيقة تمثل نسيجًا متكاملًا ذات فعالية في تشكيل الأنظمة الاجتماعية والسياسية في الدول.

كما أنّ الكتابة النسائية تنطلق وفق منطق مغاير، يرتكز بشكل خاص حول الذات الأنثوية المغيبة من أجل إبرازها وإعلان حضورها، ما يجعل فعل الكتابة عند المرأة تجربة ذات خصوصية على المستوى الفني والتماتي.

نتناول الكاتبتان جميلة لونيس-بلحاج وياسمينه بريهوم في مجموعتهما القصصية "المرأة في النور المعتم" (La femme en clair-obscur) و "أوجاع النساء" شواغل المرأة وهمومها، انكساراتها وتطلعاتها، رغباتها وصراعاتها، الخفي من سيرتها والمعلن، الكائن والممكن، الواقعي والتخييلي. بحساسية أنثوية من شأنها إضفاء سمات إبداعية مختلفة في هذا النوع الأدبي الذي يتميز بالإيجاز والتكثيف.

المبحث الأول: التسلط والعنف:

يعدّ العنف أحد أهمّ العوامل المنتجة للخطاب النسوي في الجزائر، خاصة وأنّ هذا البلد عانى سنوات طويلة من الاضطهاد الاستعماري الذي انعكس على المرأة بشكل مباشر وواضح، حيث عرفت نوعًا من التعسف والضيم والقهر من قبل الرجل الذي تعرض هو الثاني لضغوط السلطة الاستعمارية ما جعله يطفئ شرارة الظلم والتضييق والإذلال في

¹- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ص 837.

المرأة، ويسقط كوابيسه الحياتية ومكبواته من معاناة وألم وجور عليها. وكذلك سنوات التّيه والضياع والأزمة الخانقة التي أثرت بشكل سلبي على كل أطراف المجتمع الجزائري وكل شرائحه بوجه عام والمرأة بوجه خاص؛ حيث كانت المستهدفة الأولى في حركات الجماعات المتطرفة، والضحية الأولى للقرارات المتزمتة والأحكام التعسفية التي أسفرت عنها بعض المفاهيم الدينية المغلوطة والتي انتهت إلى ممارسة كافة أنواع العنف على المرأة في فترة التسعينات -العشرية السوداء أو الحمراء- في الجزائر.

1- العنف الذكوري:

يعتبر العنف الذكوري أبرز عنف في الخطاب النسوي حيث « يتشكّل المنظور النسوي تجاه فعل الذكورة في سياق سردي رئيس، يتكون من خلال استحضار العلاقة بين المستعمر (الرجل) والمستعمّر (المرأة)؛ إذ يعدّ النّقد النسوي المرأة الباحثة عن حريتها وإنسانيتها مستعمرة للرجل المتسلط والقمعي على وجه العموم؛ لذلك تظهر صورة الرجل عموماً في أنساق نمطية قائمة على استغلال المرأة واضطهادها»¹، وينبع هذا الاضطهاد غالباً من أقرباء المرأة (أب، أخ، زوج، ابن) أي من أولئك الذين وكّلت لهم مسؤولية حماية المرأة واحترامها! وعليه فإن «كتابة المرأة مشحونة دائماً بنقد الآخر (الرجل)، ومحاولة سلبه ميزاته الإيجابية»² وإدانة ممارساته التي تتعارض مع المنظور النسوي.

تطرح القاصة جميلة لونيس-بلحاج قضية العلاقة الزوجية غير المتوازنة والمبتورة بين المرأة والرجل في قصة "رَبّة البيت" (la femme au foyer)؛ فإذا كان من المفروض أن تقوم المؤسسة الزوجية السلمية على المودة والرّافة والرحمة والاحترام المتبادل، فإنّ زواج "يمينة" (Yamina) حلبة للمصارعة، حيث تعاني البطلة من اضطهاد زوجها في بيئة تعتبر

¹ - حسين المناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2013، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص211.

ضرب الزوجة من الأمور البديهية والعادية التي لا تستدعي الاستتكار أو الاستياء، بل قد يتعدى الأمر ذلك إلى حدّ اعتبار ضرب الزوجة أحد أهمّ مقاييس القوة والرجولة والشهامة.

تظهر النزعة السلطوية لدى الزوج "محمد" (Mohamed) جليا في ذلك الجو المخيف الذي يخيم على أرجاء البيت بمجرد تخطيه لعتبة المنزل، فتسارع الزوجة إلى تقديم خدماتها المستمرة من أجل ضمان راحة زوجها « فجأة يفتح الباب، يسكت الجميع: إنّه الأب. يلتحق الأولاد بغرفتهم، وتغسل الفتاة الأواني، وتقوم الأم بإعداد المائدة في الصالون»¹. ولأن "محمد" رب الأسرة الذي يكلّ ويكدّ من أجل إعالة أبنائه وزوجته والإنفاق عليهم، فهو أحقّ بكمية طعام أوفر ونصيب أكبر على باقي أفراد أسرته! « بالنسبة لزوجها، فقد أعدت سلطة متنوعة ووضعت قطعة من اللحم على صحن تحلية لا يحقّ لأحد غيره، و يؤكد الأب إنّه بحاجة إليها أكثر من غيره لأنّه يبذل جهدا كبيرا لإطعامهم»².

إنّ دور الرجل المتمثّل في توفير متطلبات الحياة لأسرته وضمان قوت أولاده يخوّل له مكانة مميّزة في العائلة، أو بالأحرى أعلى مرتبة في السّم العائلي، في حين تكون المرأة في الدرك الأسفل من هذا السّم، وقد ساهمت التّقاليد في تعميق الهوّة بين الرجل والمرأة؛ من خلال حصر وظيفة المرأة في القيام بالأعمال المنزلية والحمل والإنجاب وخدمة الزوج وطاعته. في المقابل فإنّ قوامة الزوج المتمثّلة في الإنفاق كفيلة بمنحه رخصة تعنيف زوجته وفرض سيطرته عليها.

¹ - Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, Casbah Editions, Algérie, 2013, p36.

* «-Soudain, la porte s'ouvre, tous se taisent : c'est le père. Les garçons rejoignent leur chambre, la fille fait la vaisselle, la mère dresse la meïda dans le salon.»

² - Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p36.

** «Pour son mari, elle a préparé en plus, une salade variée et elle dépose dans une assiette à dessert un morceau de viande auquel lui seul a droit. Le père affirme que c'est lui qui en a le plus besoin car lui travaille dur pour les nourrir.»

تقدّم القصة شخصية الزوج/الأب في صورة الرجل الظالم المستبد السادي الذي لم يسعد أسرته يوماً، فأبوته تنتهي في حدود النّفقة وحسب؛ فهو لا يتوانى لحظة في ضرب أبنائه وزوجته بلا سبب. ويؤكد علماء النفس أنّ العنف سلوك مرفوض ولا يحقّ للإنسان أن يقدم على العنف تحت أي ظرف، ويرجعون العنف إلى أسباب نفسية وإدراكية؛ فبعضهم يردّونه إلى التّشئة الأسرية بما فيها من عقاب بدنيّ أو نفسيّ، ومن تسلّط أبويّ¹، وبعضهم ينسبونه إلى التّهميش الاجتماعي حيث يغدو العنف بمثابة مخرج تفرغيّ انتقامي²، وبعضهم يركّزون على عوامل ثقافية كرفض تقبّل الحوار وعدم احترام الآخر³.

فبلغ الأمر بالزوج "محمد" إلى حد أن تسبب في إجهاض زوجته بضربة على مستوى البطن، فقط لأنّ ابنه الصغير همّ بأخذ قطعة طماطم من على الطاولة أثناء تناول والده الغذاء. ويعدّ العنف الذكوري الموجّه إلى المرأة تحديداً من أهمّ البنيات السردية في الكتابة النسوية؛ « لأن المرأة تقرّ أنّ الذكور متسلطين وقمعيين، وأنّ امتيازاتهم التي تؤهلهم لفعل ذلك لا تتجاوز تلك القيم والعادات التي تشكّلت في سياق السلطات التي تمنح للرجل في منظومة الأسر التقليدية؛ بصفته قيماً عليها؛ إلى حد أن تصبح ممارسات الرجل للضرب والإهانة للمرأة أو الأنثى ممارسات مقبولة ومبرّرة في المنظور الذكوري المهيمن»⁴ فتمر دون حساب أو مساءلة بسبب تكتم المرأة على أفعال زوجها والتستر عليها خوفاً من الطلاق وتشتت الأسرة لذا « لم يتبق ليمينة سوى تحمل الشيطان، حباً لأولادها»⁵*

¹ - ينظر: وفاء العسراوي: العنف في التحليل النفسي، مجلة الآداب، الموقع: al-adab.com/articl نشر بتاريخ 2018/07/25.

² - ينظر: فؤاد أبو الحطب: علم النفس التربوي، دار النهضة، مصر، 1995، ص 273.

³ - ينظر: علي محسوب: العنف عند الأطفال والمراهقين، المركز القومي، القاهرة، 2000، ص 100.

⁴ - حسين المناصرة: قراءات في المنظور السردية النسوي، ص 44.

⁵ - Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p43.

*«Alors, il ne reste à Yamina qu'à supporter le démon pour l'amour de ses enfants»

إنّ قصة "يمينة" قبل أن تكون خطابا قصصيا فنيا قائما بذاته، فهي قضية إنسانية عاشتها وتعيشها العديد من النساء المتزوجات في المجتمعات العربية والغربية مع وجود تفاوت بسيط بينهما. عشرات النساء سنويا يتوفين على أيدي أزواجهن أمام صمت العائلة والمجتمع وغياب القانون، مثلما نلاحظ في حوار "يمينة" مع جارتها حيث تقول: «تعرفين باية في المشفى المريضات سألنني عن سبب تواجدي هناك ورويت لهن قصتي من ثم كل واحدة بدأت تتحدث عن زوجها، فشعرت أننا نتكلم عن نفس الرجل».¹ * هؤلاء النسوة ضحايا العنف الزوجي وإن فكرن في التخلص من أزواجهن، فإنهن سيتلقين معاملة أسوء من قبل الأسرة والمجتمع، فالطلاق تجربة مرّة تضع المرأة تحت مجهر المراقبة الاجتماعية التي تترصد تحركاتها وتنتقد أفعالها دون هوادة.

إنّ زوجة الرجل ذو التفكير التقليدي المحدود الذي لا يجيد سوى لغة القسوة وثقافة العنف، مطالبة بخدمة زوجها ليل نهار والسهر على راحته حتى في حالات مرضها وإرهاقها وعجزها، هكذا تعاني "يمينة" من لاإنسانية زوجها الذي يرغمها على تحضير الفطور وهي على فراش المرض «-أقسم أنني لا أقوى على النهوض، أتألم ألما فضيعا على مستوى الكلى أمس لم ارتح. -السيدة تعلمت الكلام، تعرفين أنت ما هي الكلى؟ إن لم تنهضي على الفور سوف آخذ الحزام»² *

تنسج دائرة العنف الزوجي لتشمل العنف الرمزي والمعنوي؛ فإهانة الزوجة والصراخ في وجهها وتهديدها وتجاهلها أو تجريحها هو أيضا شكل من أشكال العنف

¹ - Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p39.

* «-Tu sais Baya, à l'hôpital, les malades m'ont demandé ce qui m'avait amenée là. J'ai raconté mon histoire, puis chacune s'est mise à parler de son époux. J'avais l'impression qu'on parlait du même homme.»

² - Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p38.

** «-Je jure que je ne peux pas me lever, J'ai horriblement mal aux reins, hier, je ne me suis pas reposée.

-Madame a appris à parler, tu sais toi ce que c'est que les reins ? Si tu ne lèves pas tout de suite je prends la ceinture !»

والذي يكون أقسى على نفسية المرأة، هكذا يخاطب "محمد" زوجته بنبرة لا تخل من الإهانة: « لقد كنت دائما باهتة، شبعا يمشي، هذا ما أعطاني إياه والداك، كيس من العظام البالية، الرجال يتزوجون النساء وآخرون بظلال نساء»^{1*}

طرحت الكاتبة قضية الاغتصاب الجنسي/الجسدي، والذي يمثل مظهرا من مظاهر العنف ضدّ المرأة، وكذا أقصى درجات تغييبها، من خلال انتهاك عرضها والمساس بشرفها. والاعتصاب كممارسة غير إنسانية وغير أخلاقية، تنتمي في الخفاء في المجتمع شيئا فشيئا مع غض الطرف عن مرتكبيها والتساهل القانوني معه. ففي ظلّ غياب القانون الردعي لمثل هذه الانتهاكات، وسلطة الأعراف التي تدين الضحية قبل المجرم، تكون المرأة هي الضحية الوحيدة؛ بحيث ينتهي الاغتصاب إلى طريق مسدود، تتأذى فيها نفسية المغتصبة لتلجأ للانتحار هروبا من العار أو الوقوع في مستنقع العهر.

تبرز هذه القضية في قصة "المرأة الأرملة" (La femme veuve) من خلال شخصية " سليجة" (Salidja) التي اغتصبت من طرف عمها الذي كان يمثل بالنسبة لها أبا وسندا. لكن هذا العم/الأب خان الثقة واختفى من الأوساط، تاركا الفتاة ذات خمس عشرة سنة تفقد بريق حياتها يوما بعد يوم. « ففي غضون دقيقة تحطمت حياتها. كان أفضل للوحش لو قتلها، لأنه منذ هذه الحادثة، أصبحت سليجة امرأة ميتة لا يمكن دفنها»^{2**} لتحسم الفتاة أمرها بوضع حدّ لحياتها وصراعاتها الداخلية، لقد خارت قواها العقلية والجسدية ولم تعد قادرة على مواجهة ذاتها ومجتمعها.

¹- Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p38/39.

* «-Tu as toujours été blême, un fantôme ambulante, voilà ce que m'ont donné tes parents, un sac d'os usés. Des hommes épousent des femmes et d'autres des ombres de femmes.»

²- Dj. Lounis-Belhadj: La femme en clair-obscur, p129.

** «En l'espace d'une minute sa vie a été brisée. Le monstre aurait mieux fait de la tuer car à partir de ce drame, Slidja est devenu une morte qu'on n'a pas pu enterrer.»

تناولت المتون القصصية النسائية وجهاً آخر للعنف الذكوري وهو عنف الأبناء؛ فبحكم أنّ المرأة إنسان قاصر وناقص عقل في المجتمعات البطريركية تنتقل ملكيتها من الأب إلى الأخ، إلى الزوج ثم إلى الابن، فيكون لكل واحد منهم الحق الكامل في التصرف في المرأة. وعليه يعدّ العنف الذي يمارسه الابن على أمه امتداداً لسلسلة من الاضطهادات التي تشهدها المرأة في فترات حياتها المختلفة ابنة/ أختا/ زوجة/ أمّا. ونظراً للأعراف الصارمة من جهة وعاطفة الأمومة من جهة أخرى، تقف الأمّ مكتوفة الأيدي أمام هذا الوضع الذي تكون فيه تحت مسؤولية الأبناء بعد وفاة زوجها، هذا ما يتجلى في قصة "المرأة المحرومة من دخلها" (La femme privée de ses revenus) أين يبدأ استلاب الأم من طرف ابنها من لحظة توليه مسؤولية سحب الأموال الخاصة بأمّه.

ففي غياب الأب يتحكم الابن "طاهر" (Tahar) بأمه وأخته، و في كل مرة تطلب الأمّ أموالها يهددها بهجرها إلى الأبد « خذي أموالك، لا أريدها أبداً، خذيها وسأهجركما أنت وابنتك، عليكما تدبير شؤونكما بمفردكما من دون الحاجة إليّ»¹ * وخوفاً من تنفيذ التهديد تتقبّل الأمّ بوضعها التعيس « لا يا بني، ليس هذا ما أريده، خذ استرجع المال، أرجوك استعده واحتفظ به. أنت تعرف جيداً أنني غير قادرة على إيداعه ولا أعرف قيمة الأشياء»² * واستمر الابتزاز وتفاقم إلى حدّ تجرأ فيه الابنان ضرب أمهما كي لا تطالب مرة أخرى بأموالها، ومع ذلك لم تحاول اللجوء إلى العدالة القانونية لمعاقبتهم على فعل الاعتداء، لكن العدالة الإلهية كانت كفيلة باسترجاع كرامة الأم المسلوبة.

¹– Dj. Lounis- Belhadj : la femme en clair-obscur, p242.

* «-Tiens ton argent, je n'en veux plus, prends tes sous et je vous renie ta fille et toi, vous aurez à vous débrouiller toutes seules, sans moi»

²– Dj. Lounis- Belhadj : la femme en clair-obscur, p243.

** «-Non mon fils ce n'est pas ce que je veux, tiens reprends l'argent, s'il tu plait reprends-le et garde-le. Tu sais bien que je suis incapable de déposer et je ne sais pas la valeur des choses»

تسعى الكاتبات النسويات إلى رسم الرجل في صورة سوداوية قاتمة، واسدال الستار عن السلوكات اللاأخلاقية التي يمارسها على المرأة، « وما إلحاح ظهور الرجل المتسلط في كتاباتهن سوى افتضاح الخطأ الذي لحق بالأنثى بصفة عامة، ورفضه أينما وجد¹ غير أن رضوخ المرأة أمام الأمر الواقع واستسلامها، وعدم الثورة على أشكال العنف، يمثل تعزيزاً قويا لاستمرار هذه الممارسات التي تهضم حقوق المرأة وتقمع حريتها، والتي تصل إلى حدّ التغييب التام لها كذات فاعلة ومستقلة في المجتمع والعائلة.

2- المرأة ضدّ المرأة.

قد تمارس المرأة (أما أو جدة..) قهراً جديداً يضاف إلى قهر المجتمع الذكوري على الأنثى، « وهنا يبدو وقع العنف أكثر إيلافاً في حياة المرأة، فيما لو كان هذا العنف قادماً من الرجال، الذين عودوا النساء على أن يتوقعن العنف منهم بطريقة أو بأخرى² حسب حسين المناصرة، حيث تتضاعف مأساة المرأة حين تتلقى اضطهاداً مزدوجاً؛ عندما تكون ضحية لإحدى بنات جنسها في سياق اضطهادها ذكورياً.

تتجلى هذه القضية بصورة واضحة من خلال (الأم) التي تزرع في ابنتها منذ الصغر بطريقة لا شعورية أفكاراً سلبية، أنّها أقلّ من أخيها الذكر، فمنذ الحزن الذي يصحب الإعلان عن ميلاد أنثى في العائلات "التقليدية التفكير"، ومنذ لحظة صدامها بالرفض حتى من والدتها، تبدأ معاناة الأنثى مع صراعها النفسي. تقول أورزولا شوي في هذا الصدد: «...فالأمهات يُرضعن البنات بشكل مغاير لإرضاع الصبيان: على البنات الصغيرات أن يتناولن الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط يفطمن أبكر من

¹ - إبراهيم أحمد ملحم: الأنثوية في الأدب النظرية والتطبيق، ص 27.

² - حسين المناصرة: قراءات في المنظور السردي النسوي، ص 28.

الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تقبل الأم بصورة لاشعورية بسلطة واستقلالية الرجل الصغير، تترك له الإيقاع الطبيعي لرضاعته. بينما تقطع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تبدي استعدادا لمسايرتها، بل تخضعها لإرادة غريبة.¹

كما يضمن ميلاد الذكر نوعا من السلطة للأم في المجتمعات الأبوية ونوعا من الاعتزاز بالنفس، ما يهيئ الجو المناسب لإنتاج تفاوت بين الجنسين واستمراره على المدى البعيد، « فعلى الرغم من كون الأم مضطهدة، وتعاني كثيرا من السلبات الذكورية في المجتمع، سواء من خلال طفولتها أو مراهقتها أو زواجها، وحتى بعد أن تصبح أمًا، إلا أنها تغدو ذكورية في قمعها لبناتها، كأن المجتمع استطاع أن يستلب هذه الأم، وفي الوقت نفسه أن يوظفها أو يسخرها في خدمة أنظمتها وقوانينه التي تسلط على الإناث دون الذكور. ولأن هذه الأم هي الأقرب إلى بناتها من غيرها؛ فإنها تمارس أساليب قمعية عديدة، تتمثل في الصراخ، والشتائم، والضرب، وتحريض الذكور على الإناث»². وفي هذه الحالة تكون المرأة ناقلة قيم المجتمع الذكوري على حد تعبير حسين المناصرة، والحارسة على استمراريتها زما طويلا، والمنفذة الحقيقية للأفكار التسلطية التي ينادي بها المجتمع الأبوي، والتي تكرس فكرة دونية المرأة وترسخ قصورها ولا مسؤوليتها ومحدودية فكرها.

تطرح القاصة ياسمينة بريهوم في قصة "قتلت جدتي" هذه القضية كشكل من أشكال معاناة المرأة داخل المؤسسة العائلية. فتبدو الجدّة في هذه القصة رمزا للعادات والتقاليد المسيطرة على العائلة والمجتمع وكذا مؤشرا للتفكير التقليدي والرجعي الذي يعرف المرأة/الأنثى في حدودها الجسدية فقط.

¹ - أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار، ط2، سوريا، 1995، ص13.

² - حسين المناصرة: قراءات في المنظور السردي النسوي، ص108/109.

تظهر شخصية الجدّة في صورة رقيب على خطوات الحفيدة التي تبدو بالنسبة لها غير أخلاقية، وبذلك مثلت الجدة سلطة قمعية تفرض قوانينها وجبروتها على أفراد الأسرة « تدخلت حتى في شكل الكرايس التي نشترها، وفي الأصدقاء الذين يأتون إلينا وكم ألّبت أبي على صديقاتي أنهن يفسدنني!».¹

تتمسك الجدّة بسلطة العادات والتقاليد التي لا تتزعزع ولا تضحل بفعل الزمن، فها هي تحاول أن تكون عقبة في طريق حفيدتها بشتى الطرق والوسائل من أجل منعها من مواصلة تعليمها، تقول الساردة: « أدركت ذلك باكرا مما بذلت من جهود لإبقائي في البيت حتى أنّها ذات سنة تمارضت، وهي متأكدة أنّ أمي ستستبقيني في البيت لمساعدتها! فإذا اجتزت شهادة التّعليم الابتدائي أعلنتها صراحة. إنّ ساقها صارا أطول من ساق أمها فأبي عار يلحق بنا أن تخرج امرأة في طولها للشارع كل يوم، أن تقرأ البراوات" فهذا ما لم تلحق إليه فتاة في العائلة قبلها».²

إنّ المجتمع التّقليدي المحافظ (في الماضي القريب) لا يتقبل فكرة خروج المرأة من المنزل أو تعليمها، والمنع من خروج الفتاة حين بلوغها سنًا معينة، يعتبر صوتا لشرفها وشرف العائلة، باعتبار أنّ المرأة في نظر المجتمع الذكوري غواية وعورة لا بد من سترها. ونجد الجدّة في هذه القصة متشعبة بقيم هذا المجتمع وعقليته الموروثة لذا تدافع عنها بكل قوّة وحماس، فنكتف من سبل خنق الحفيدة/الساردة، فبعد فشلها في إقناع الأب بتوقيف تعليم ابنته، شنت الحرب بأسلحة جديدة « ففي أيام لم أجد بعض كرايسي، واضطرت أكثر من مرة لإعادة تدوين دروسي، وفي أيام أخرى كانت تمزق صفحات

¹ - ياسمينة بريهوم: أوجاع النساء، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2019، ص27.

² - المصدر نفسه، ص28/29.

من كتبي ترمي فيها أظافرها؛ لأنه لا يجوز أن تبقى الأظافر دون دفن، بكل برود أجابتنى لما قلت يا جدّة هذا كتاب!«¹.

إنّ المجتمعات التقليدية تنظر إلى المرأة على أنّها مصدر للخطيئة والفساد، لذا ينبغي فرض رقابة صارمة عليها من أجل تطهير كل أفعالها وممارساتها وتأديبها عند كل انحراف، كوضع الزينة مثلا(مواد التجميل) أو مشاهدة الأفلام الأجنبية، تقول الساردة: «...فكم أدارت وجهها وأنا أضع مكياجى أو أشاهد فلما: فحين لا تفهم لغته أو تفاجئها قبله في إحدى لقطاته تتمم مستغفرة: كيف لا يؤدبني أبى أو أخى؟»²، فالمرأة من خلال هذا التصرّو تظلّ قاصرا تلزمها عينا حارسة وبدا رادعة وسجنا محكم الإغلاق وإلا ستجنى فضيحة لنفسها ولعائلتها.

إنّ البطلة/الساردة وقفت مواجهة لهذه السيادة والسّلطة التي خوّلتها العائلة للجدّة، فرفضت أن تعيش الحياة على مقاييسها، ولا أن ترى العالم من خلال عيونها، ورفضت أيضا أن تكون استمرارا لها، فنقول إنّ علاقتها لم تكن علاقة حفيدة بجدّتها، إنّما «هي صراع وجودين وحياتين لم تقدر إحداهما على التأقلم مع الأخرى»³، وهذا ما يوحي إليه العنوان "قتلت جدتي" الذي هو قتل رمزي يلخص موقف الرّفص وعدم الاستسلام، والإرادة في التّغيير التي تحرّك ذات الساردة؛ فهي لم تقبل المسار الذي رسمته الجدّة لحياتها، فنارت على أوامرها واعترضت على الخطيب الذي اختارته لها، ورفضت منطق تفكيرها بشكل كامل ومطلق.

يجدر الإشارة أيضا إلى أنّ عنف المرأة على مثيلاتها، لا يقتصر على العنف الأسري وحسب، إنّما يتعداه ليشمل حيّزا أوسع، يتجلى في الأنساق الثقافيّة المغيية للمرأة

¹ - ياسمينه بريهوم: أوجاع النساء، ص 29.

² - المصدر نفسه، ص 35.

³ - المصدر نفسه، ص 35.

في الخطابات اليومية النّابعة عن المرأة بحد ذاتها، وكذا الممارسات التي تكون عن قصد أو غير قصد قامعة للمرأة وخادمة للأفكار الذكورية؛ فالموافقة على الزواج برجل متزوج مثلا هو نوع من العنف والإقصاء الموجّه ضد الأنثى من الأنثى، ففي الوقت الذي ترفض فيه المرأة فكرة تعدّد الزوجات بالنسبة لزوجها تسارع أخرى لأن تكون هي الزوجة الثانية!

وعليه فإن العنف الموجّه ضد المرأة لا ينحصر في العنف الجسدي المادي فحسب، إنّما يتعداه ليشمل العنف الرمزي الذي « يصبح عنفا (روحيا) خالصا ومن دون آثار واقعية في نهاية الأمر»¹ حسب تعبير بيار بورديو كما أنّه «آلية تشتمل على مجموعة من القواعد تكتسب لنفسها صفة الشرعية حتى لا يلاحظها أحد بوصفها عنفا مغلفة نفسها بالرقّة واللامرئية»² وتتضوي تحته تلك المفاهيم النّمطية والقوانين التي تخضع لها المرأة استجابة للنموذج الثقافي إلى حد طمس شخصيتها وإلغاء حضورها وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: انعدام الحرّية وفقدان الذات:

تطرح الكاتبات النسويات مسألة انعدام الحرّية والاستقلالية بالنسبة للمرأة، ولا سيما وأنّ هذه القضية تمخضت عن مجموعة من الأنساق الضمنية التي كرّسها المجتمع الذكوري من أجل تغييب المرأة، ويتجلى ذلك في الممارسات اليومية التي تقمع حرّيتها وتفقدتها وجودها وتشلّ حركتها.

¹- بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان فعفراني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، 2009، ص61.

²- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص226.

1-التقييد والمنع:

يمثل التقييد والمنع حصيلة تفاعل مجموعة من التصورات والخطابات الدينية والفلسفية التي ساهمت في ترسيخ فكرة دونية المرأة، وتعميق الهوة بين الجنسين، مما أنتج تفاوتاً في الحقوق، واختزل دور المرأة في خدمة الرجل وإرضائه، ومنعها من دخول مجالات عدّة ظلّ الرجل يحتكرها لسنوات طويلة.

إنّ منع الفتاة من الخروج في سنّ معينة، بمثابة خطوة ضرورية لحماية شرف العائلة، باعتبار أنّ المرأة لا تملك قدرات عقلية كافية لصون شرفها عن الخطيئة، أمّا منعها عن الدّراسة فهي وسيلة يمتنها الرجل لإبقاء المرأة جاهلة بحقوقها المهضومة.

تطرح الكاتبة "جميلة لونيس-بلحاج" هذه القضية في قصة "المرأة المحرومة من دخلها" (La femme privée de ses revenus) من خلال شخصية "حرية" (Houria) التي فقدت والدها وفقدت مستقبلها الدّراسي بسبب تسلّط أخويها ومنعها من مواصلة الدّراسة بعد نجاحها في شهادة التّعليم الابتدائي، حيث يقول الأخ "طاهر" (Tahar) «طالما أنا على قيد الحياة لن تذهبي إلى المدرسة، نرى ما تفعله الفتيات اللاتي يفترض أنّهن يذهبن إلى المدرسة»¹، ولأنّ المرأة حسب هذا الرّغم الذكوري، لا ينبغي أن تتعدى حدود المنزل، ظلّت صورة الأنثى ودورها أشبه بحتمية بيولوجية اقتضتها الطبيعة، فتلقّي التّعليم بالنّسبة للفتاة في المجتمعات المتحفظة شيء ثانوي وغير مهمّ أو لا فائدة من ورائه، خاصة وأنّ التّعليم سيسمح للمرأة باقتحام عالم الشّغل مما يفتح مجالاً للاختلاط مع الجنس الذكري والوقوع في الشبهات.

¹ - Dj. Lounis Belhadj : La femme en clair-obscur, p239.

* «-Tant que je serai vivant, tu n'iras pas au collège, on voit ce que font les filles qui soi-disant vont à l'école»

ويرى الكثير من علماء الدين الإسلامي أنّ وظيفة المرأة تكمن في تدبير شؤون المنزل ورعاية الأطفال، ومنهم محمد الجوهري الذي يرى أنّه يكفي للمرأة تعلّم مبادئ التربية والدين « أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد. ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة. وليست في حاجة إلى الدّراسات الفنية الخاصة، فستعلم عن قريب أنّ المرأة للمنزل أولاً وأخيراً»¹، فالبيت هو الفضاء الوحيد الذي تجول فيه المرأة وتصلو بأريحية، وتبدع وتحذق وتتقن وتبرع وتتفوق. وهناك من يدرج حق المرأة في التّعليم تحت مسمى فرض كفاية والذي يندرج في « خانة ((العلم (الضروري)) الذي يحتاج فيه للمرأة داخل المجتمع كالتوليد وتعليم النساء والتمريض ومتى غابت الحاجة إلى ذلك اكتفت المرأة بالجلوس داخل البيت»²، في حين يقرّ قاسم أمين وغيره من رواد حركة تحرير المرأة أنّ التّعليم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مصدراً للفساد إنّما هو ضروري يعود بالمنفعة على المرأة والمجتمع.

إنّ مثل هذه الأفكار المغلوطة التي يؤمن بها المجتمع الذكوري، ساهمت في سلب حرية المرأة وتطويقها، حيث يصرح "طاهر": « إنّها بالغ، لن تخرج بعد الآن وعليها أن تتعلم التنظيف، والطهي، والاستعداد لحياتها كزوجة وأم والمدرسة ليست لها»³، وهذه النظرة لا تختلف عن رؤية فلاسفة اليونان القدامى، حيث يرى أرسطو (384-322 ق.م) « أنّه ليس من المناسب للمرأة أبدا أن تكون قوية أو شجاعة أو ذكية أو بارعة. لأنّ هذه الصّفات ليست ذات فائدة لإنسانة وظيفتها العناية بالمنزل، وإعداد الطعام

¹ - محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات و بناء الأسرة القرآنية، دار الدعوة، الطبعة الثانية، 1993، ص40.

² - فاطمة كدو: الخطاب النسائي ولغة الاختلاف، منشورات دار الأمان، الرباط، ص26.

³ - Dj. Lounis-Belhadj, la femme en clair-obscur, p240.

* «Elle est pubère, plus de sortie, elle doit apprendre à faire le ménage, à faire à manger, à se préparer à sa vie d'épouse et de mère, l'école ce n'est pas pour elle.»

والملابس لأسرتها»¹ فلأن المرأة دورها يكمن في إشباع رغبات الرجل الجسدية وتحقيق لذاته الجنسية، فإنّ نبوغها في المجالات المعرفية والعلمية يعتبر لا حدث في المجتمعات البطريركية.

تتفاقم وضعية الفتاة "حرية" إلى درجة المنع التّام من الخروج، حتى في حالات الضّرورة القصوى دون إذن أخيها، فلا بد للمرأة أن تلتزم بأوامر وليّ أمرها، فبعد وفاة الأب يتولى الأخ مسؤولية أخته حتى وإن كان أصغر منها سنًا وأقلّ تجربة، يؤكّد محمد الجوهري: « المرأة قبل الزّواج مسؤول عنها أبوها وأمها وأخوها ومن يعولها بعد الزّواج تنتقل هذه المسؤولية إلى الزّوج.»² وهذه إشارة واضحة إلى فقدان المرأة حريتها في المجتمع، حتى التوجّه إلى المستشفى في حال المرض يعدّ نوعاً من المحظورات التي لا ينبغي أن تتجاوزها الفتاة، يقول الأخ بعد إخراج أخته من المشفى قبل أن يأذن الطبيب بذلك: « إذا علمت أنّ حرية قد عادت إلى المستشفى، فسوف أتخلى عنكما، يلتفت إلى والدته و يواصل: لن تريني بعد الآن، سأهجركما.»³

إنّ تقييد حريّة المرأة ومنعها من الخروج والدراسة أولى خطوات التّغيب التي ينتهجها النّظام البطريركي (système patriarchy) من أجل الحفاظ على مكانة الرجل وسلطته في المجتمع، حيث أنّ «أهم ما يميّز المجتمع الأبوي سواء القديم أم الحديث هو النّزعة الأبوية البطريركية التي تعني إعلاء من شأن الرجل أياً كان موقعه لدرجة تصل إلى تأليهه أحياناً. وتكون العلاقات في التفاعل الاجتماعي ضمن هذا النسيج الاجتماعي

¹ - عصمت محمد حوسو: الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، ط 1، الأردن ، 2008، ص 24.

² - محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، ص 184.

³ - Dj. Lounis- Belhadj: La femme en clair-obscur, p242.

* «-Si par malheur, j'apprends que Horia est retourné à l'hôpital, je vous renie. Il se tourne vers sa mère et continue : tu ne me verras plus jamais, je vous abandonnerai»

قائمة على الهرمية والتسلط من جهة، والخضوع والطاعة من جهة أخرى»¹، وتقييد المرأة يسمح باستمرارية هذا التفاوت في الحقوق بين الجنسين، من خلال إبقائها في دائرة الجهل، مما يضمن عدم إدراكها لحقوقها المسلوبة وحياتها المنتهكة.

2- المرأة كيان مهمّش:

إنّ الكتابة الإبداعية النسائية تمسّ بصورة واضحة أوجاع الأنوثة وهموم وضعها الذي يشكو ألوانا من القهر والاستلاب وأشكالا من التهميش والإقصاء، وكذا مدى تأزم نفسياتها جرّاء ذلك، حيث تفتتح القاصة ياسمينة بريهوم قصة "الفرافوز" برحلة البحث عن وجودها حيث تقول: «في قرارة نفسي لم تكن بي رغبة إلى مشاهدة التلفزيون، إنما كانت حلقة المسلسل التلفزيوني نافذتي الوحيدة لإثبات أنني شخص له وجوده وقراراته في هذا البيت بعد موجة الغضب التي أعلنت بها سخطي»². إنّ التوتر النفسي واضح في شخصية البطلة/الساردة، على الرّغم من حرّيتها التامة في التصرف والعمل وتسيير شؤون البيت- والتي لم تكن ثقة من زوجها، إنما إزالة لهذه الأعباء عن عاتقه- فهي تعاني من وحدة وضياح وتيه وكذا فقدان الحرّية.

إنّ المرأة محكوم عليها بالطاعة والخدمة المستمرة، والسير وفق الخطوات المفروضة عليها اجتماعيا، فالرفض والتمرد وإبداء آراء مخالفة يعتبر نوعا من النشوز والانحراف عن الطريق المستقيم لذا ينبغي تأديب المرأة ومعاقبتها، تقول الساردة: « ليس فجأة تأخذ حياتي هذا الطريق فمن سنين وأنا مربوطة إلى وتد الواجبات والالتزامات التي دخلتها بحكم أنني المرأة والزوجة الخارقة والهادئة، هكذا غرست فيّ أمي: إنه عيب رفض

¹ - عصمت محمد حوسو: الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية، ص101/102.

² - ياسمينة بريهوم: أوجاع النساء، ص46.

مساعدة الآخرين. إنه من غير الأخلاق أن تقولي في وجهي تعبت؟ كيف تعلنين كلمة لا ولا تستحين؟¹.

إنّ هذا التفكير يفضي إلى نتيجة واحدة وهي سلب ذاتية المرأة وهدم كيانها، وتغييب جوهرها وقتل مشاعرهما وأحاسيسها، وتهميش رغباتها وتطلعاتها. « نظرت إلى الطاولة: كم سنة وأنا أجلس إليها أو عليها تشهد على سخطي اليومي وأنا أستيقظ منذ مدة من أمام زوج لا يفكر في حاجتي المعنوية والجسدية إليه حتى نسيت أنه يربطنا هذا العناق الذي تحن إليه روعي². فقد طرحت الكاتبة قضية العلاقة الزوجية المبتورة، وتكون المرأة ضحيتها، حين تتحوّل إلى وعاء للجنس في صالح الزوج، في المقابل تكبت وتقاوم حاجياتها الخاصة، وتقتل رغباتها. وقد أوكلت الكاتبة مهمة الحديث عن واقع المرأة في الحياة الزوجية إلى الضمير السردى الدال على الذات، التي نجدها مشحونة بصفات القلق والتوتر النفسي، والسخط على الآخر الذي أتعبها وأرهقها، حتى غدت تصف نفسها الراقوز الذي يجيد لعب كلّ الأدوار، وتتقن أعمالها وتقوم بإرضاء الجميع على حسابها.

يحمل عنوان القصة دلالة قوية بفقدان الساردة/ البطلة لكامل إرادتها في الحياة حيث تقول: « لم أخطر حتى ملابسني التي ضحكت منها زميلاتي، بأني ألبس كالنساء المتزوجات؟³. فتكون كدمية الراقوز التي شكّلها الأب والأم على مقاييسهما، لتخرج إلى المسرح وتلعب الأدوار الموكلة إليها بكل جدّ وحزم، لترسم على وجوه الجميع ابتسامة دائمة، وتشعرهم بسعادة عارمة، دون أن تذوق طعمها.

¹ - ياسمينة بريهوم: أوجاع النساء، ص 47.

² - المصدر نفسه، ص 52.

³ - المصدر نفسه، ص 50.

طرحت ياسمينة بريهوم قضية فقدان الذات والوجود التي تعاني منها الأنثى في الوسط الاجتماعي، بعد جملة من المفاهيم التي أقصت المرأة ككيان حي يتشكل من نسيج من القدرات والرغبات والصراعات العميقة، واقتصار النظرة في حدود الجسد ووظيفته في خدمة الرجل، فانطلقت القاصة برصد التوتورات النفسية لدى المرأة وما يكتنفها من خلجات شعورية وتناقضات حادة جراء أشكال الاستلاب والقهر التي طالت روحها منذ حقب طويلة.

استطاعت الكتابة النسائية أن تستوعب هموم المرأة ومعاناتها وتصوير تجاربها، والمناداة بمطالبها، ووصف مشاكلها النفسية الناتجة عن صراعاتها الداخلية بين رغبتها في تحقيق ذاتها والإذعان لمقاييس اجتماعية محددة تهدر كرامتها وحقوقها، فهي تركز أساساً على التنفيس والإفصاح عن الكبت الاجتماعي ومقاومة تاريخ الصمت الذي أرهقها وأثقل كاهلها وجردها من كينونتها الإنسانية، فالكتابة الإبداعية إذن رحلة بحث عن الذات الأنثوية المغيبة وهويتها المفقودة.

الفصلُ الثاني:

الحَفْرُ في المَحْظُورَاتِ واختِرَاقِ الطَّابُو

المبحث الأول: المرأة وقيم المجتمع المتناقضة:

1- الشرف في المجتمعات العربية:

2- مساءلة مقياس الشرف في الكتابة النسوية:

المبحث الثاني: المرأة بين الدين والواقع:

1- فتنة الجسد الأنثوي:

2- المرأة مسؤولة عن الخطيئة:

لطالما كانت الكتابة وسيلة المرأة إلى الخلاص والانفلات من قيود المجتمع وتأكيد حضورها وإبراز ذاتها والتعبير عنها، من خلال إنتاج خطاب يختلف عن المؤلف ويتجاوز السائد، من أجل مجابهة مشروع التغييب الذي شنه المجتمع الذكوري ضدها. وعليه سعت الأقلام النسائية إلى تشييد عالم أدبي إبداعي حافل بقضايا اجتماعية، دينية، سياسية... بلغة جريئة تضيء المخفي وتكشف المستتر.

حقّق السرد النسوي قفزة نوعية من خلال تخطيه عوالم المعتاد وولوجه عالم المحرم والممنوع وتفجير المسكوت عنه، حيث هدفت المرأة/الكاتبة إلى انتهاك الطابو وتعريته وكشف تناقضات وممارسات غير شرعية ظلت تنتمي في مناطق الظلّ والعتمة، مستمدة مشروعيتها من سلطة مركزية دينية واجتماعية الطابع. وتدل «مفردة الطابو (Taboo) على المقدس، أو المحرم، أو المحظور، أو المسكوت عنه، سواء أكان دينياً، أم جنسياً، أم سياسياً، أم عرفياً(قبلياً)، أم غير ذلك. وتشير تحديداً إلى مناقشة أو كسر فرد أو فئة مواضيع دينية، أو جنسية، أو سياسية، أو قبائلية»¹ وتختلف المحظورات/ الطابوهات من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر باختلاف السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لكل عصر.

تمثّل الكتابة الإبداعية لاسيما النسوية منها إحدى التيارات النائرة والمتمردة التي تسعى إلى تقويض الطابو والنضال ضدّ المكرّس، حيث اتخذت المرأة الكتابة الإبداعية أداة حفرية تنبش بواسطتها في التّخوم والممنوعات بمختلف أبعادها، لتلقي بضوئها في العتبات المظلمة، وتخترق المتوارث من العادات والتقاليد لزعزعة الثّابت في العرف الاجتماعي الذي كرسه الوعي الذكوري وإنتاج رؤى مختلفة مع الأنماط الثقافية السائدة.

¹ - حسين المناصرة، مقاربات في السرد الرواية والقصة في السعودية، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص41.

انطلق الجيل النسوي إذن نحو تأسيس مشهد إبداعي مشحون بقضايا حساسة تسعى من خلاله المرأة إلى مخالفة القاعدة وانتهاك المحرم، فتناولت المرأة/الكاتبة الطابوهات سواء أكان دين أو سياسة أو جنس من منطلق الحرية في التعبير عن مختلف القضايا التي تُشكل حلقات هامة وفعالة في المجتمع والتي توظف حركيته ومسلكيته، وذلك باعتبار أن تاريخ الصمت أو المسكوت عنه حسب تعبير إبراهيم محمود¹ «أكثر عمقا وغنى وإثارة، من تاريخ الكلام المسموع، والكتابة المقروءة»¹، واختراق المحظور نتيجة طبيعية وضرورة لا بد منها رغم ما يثيره من جدال، ذلك لأن السلوكات والأمر المحظورة والتي تتنامى في الخفاء تُشكل خطرا على المجتمع وتهدد استقراره، «فلا أزمة أشد من الصراعات المتولدة من رحم الطابو في مجتمعاتنا العربية اليوم»².

تناول السرد النسوي بصفة عامة المحظورات، بشكل لافت قصد إنتاج خطاب مغاير ومخالف للمفاهيم النمطية التي كرستها السلطة الذكورية والتي حاولت إقصاء المرأة وتغييبها بالاستناد إلى التراكمات الثقافية التي استقرت في اللاوعي الجمعي لأفراد المجتمع وترسبت في مخيال السلطة الاجتماعية، كما ساهم في ذلك واقع التهميش الذي يكتنف المرأة في المجتمع وحالة تغييب صوتها في مختلف المجالات حيث «لا يزال تصميت المرأة، أي الحجر عليها في أكثر من مجال اجتماعي ومجتمعي، وعلى أكثر من صعيد وعلاقة، يجيد بيانه وبرهانه لدى الرجل (الكائن المختلف)، في دونيتها؛ في السلبيات التي لبسها إياها. فهي ظلت وإلى الآن كجسد، محل رغبته، ملجأ شهوته، ومحطة غرائزه؛ عالما مطلوباً، وكعقل، محل قمعه. إنها مرفوضة، ومطرودة من دائرة المساواة: رؤية وتفكيراً، ومعاشرة وكتابة ووجوداً»³. وقد كان هذا التعامل السلبي مع المرأة والنظر إليها على أنها وسيلة إمتاع وتسلية

¹ - إبراهيم محمود: جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، مركز الإنماء الحضاري، ط 1، 2002، ص 14.

² - حسين المناصرة: مقاربات في السرد-الرواية والقصة في السعودية، ص 41.

³ - إبراهيم محمود، جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، ص 140.

سببا وجيها ودافعا قويا في ولوجها عالم الكتابة والتأليف بجرأة واضحة من أجل ردّ الاعتبار لذاتها المقموعة.

يمثل دخول المرأة مؤسسة الإبداع، وفرض كلمتها أولى العتبات التي تخطتها بثبات وحزم وإصرار، باعتبار أنّ الكتابة إحدى المحظورات التي لا يجوز على المرأة خرقها، لأنّ «المرأة إذا باحت بتفكيرها وبما يزخر به مكنونها من أمني وهواجس ورغبات وتذمر وإحباط...تكون قد كشفت عما لا يمكن الكشف عنه. وهذا الفعل إباحية مرفوضة»¹ لذا اتخذت الكتابة كوسيلة للتمرد والتحرر من برائن الصمت والتّغيب والحظر والانتقال إلى مرحلة الكلام والكشف وملامسة المحظورات وانتهاك الطابوهات بكل جرأة، حيث أنّ « الإبداع أكثر قدرة على ارتياد المناطق البكر والخوض في مجاهل عديدة نفسانية ومعرفية»² حتى أصبح الثالث المحرم (دين، سياسة، جنس) أهمّ المواضيع التي طرحتها الكاتبات في أعمالهن الإبداعية.

انطلقت المرأة/الكاتبة إذن ساعية إلى انتهاك "الطابو" بمختلف أشكاله؛ بحيث لم تعد (القضايا السياسية) حكرا على الأقلام الذكورية وحسب، إنّما أضحت إحدى أهمّ انشغالات الكاتبة العربية من خلال محاولة إعادة قراءة التاريخ المغيب وتقويض السّلطة المركزية، وكذلك النبش في المسكوت عنه من (المعتقد الديني) وإدانة الممارسات اللاشرعية الناجمة عن الأفكار الدينية المغلوطة. كما تركز معظم الأعمال الإبداعية النسوية على موضوع (الجنس) كتيمة ضرورية من أجل التّديد بالاضطهاد الذكوري على الأنثى وردّ الاعتبار لجسدها.

¹ - محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 2004، ص20.

² - المرجع نفسه، ص21.

يعجّ السرد النسوي عامة بالمسائل الحساسة والقضايا الشائكة التي تثير التشويق والجدل في الوقت نفسه، فبالعودة إلى الأعمال القصصية التي نحن بصدد تحليلها ألفينا خطابا يخترق المحظور ويتجاوز الخطوط الحمراء التي رسمها المجتمع بخاصة تلك الممارسات المترسخة في الذهن الجماعية.

المبحث الأول: المرأة وقيم المجتمع المتناقضة:

أمام واقع يكرّس السيادة الذكورية على حساب المرأة - كونها مخلوقا من الدرجة الثانية حسب زعمه- تعري الكاتبات الجزائريات ممارسات المجتمع الجائرة في حقّ المرأة وتجاوزاته القاسية المتوارثة جيلا عن جيل، وتطلقن صرخة رفض عالية في وجه القمع بشتى أنواعه.

تمخّضت هذه الممارسات التي تهضم حقوق المرأة وحرّيتها في الغالب الأعم عن ذهنية المجتمع الذي تشبع بثقافة ذكورية تهدف إلى تدمير المرأة وإنزالها منزلة دنيا، ثم تغطيتها بعباءة الدين والشريعة. فمن الضروري إذن الفصل بين الدين الصحيح الذي يقرّ بالعدل بين الذكر والأنثى، وأولئك الذين يفصلون الدين على مقاساتهم الخاصة بما يخدم مصالحهم ويضمن استمرارية سلطتهم.

عمل السرد النسوي على تعرية واقع القيم الاجتماعية السلبية السائدة، وفضح السلطة الذكورية التي تحاول تقييد المرأة وحجب صوتها وصورتها، واضطهاد جسدها ومصادرة حقوقها، بذريعة الدين.

1- الشرف في المجتمعات العربية:

إنّ الشرف هو ما يمثّل المرأة في المجتمعات التقليدية المحافظة، فبدونه تصبح أشبه بسلة منتهية الصلاحية، فضياعه يعني نهاية حياة المرأة، لذا يتم تلقين الفتاة وتنشئتها منذ

الصغر على المحافظة على هذا الشرف الذي يرمز بدوره إلى شرف كل العائلة. لكن ما هو المقياس الذي يمكننا من خلاله الحكم على عفة المرأة وشرفها في مجتمعاتنا؟

يعكس الأدب الجزائري الحديث نظرة المجتمع الأبوي التقليدي للشرف وارتباطه بعذرية الفتاة، فكثير هي الروايات والقصص التي عبرت عن هذا المفهوم التقليدي للشرف، والتّركيز على عذرية الفتاة وبقارتها كدليل لا بد من توفره من أجل الحكم بعفتها وشرفها. نجد مثل هذه الرّؤية المحدودة لدى بعض الشخصيات في رواية "بان الصّبح" لعبد الحميد بن هدوقة، فقد تناول الكاتب علاقة الشرف بغشاء البكارة من خلال شخصية "نعيمية" التي اتّهمها عمها في شرفها ووشى بها لأبيها الذي قرر قتلها ودفنها في حال ما أظهرت نتائج الكشف الطبية أنّها غير عذراء، ليبتهج ويتفاخر عند عائلة أخيه وهو يحمل تلك النتائج التي تثبت براءة ابنته.

وكذلك في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق أين ارتبطت هذه المسألة بظاهرة اغتصاب النساء إبان الأحداث التي شهدتها الجزائر في التسعينات، والتي تنتهي فيها حياة المغتصابات إلى طريق مسدودة إمّا جنون أو انتحار أو ارتداء في مستنقع العهر أو قتل من طرف الأهل، حيث تحقّق البطلة الساردة "خالدة" في قضية انتحار طفلة من أعلى جسر لتصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أنّ الفتاة لم تنتحر وإنّما أبوها أرغمها على ذلك بعد أن اغتصبها رجل في الأربعين من عمره، هربا من العار والفضيحة التي ستلاحقها وتلاحق عائلتها، هكذا راحت الطفلة ضحية المجتمع وضحية الأهل الذين لا همّ لهم سوى شرف العائلة وسمعتها.

إنّ المجتمع الذي ينادي بعفة المرأة هو من ينتهك شرفها، ويمسّ بعرضها، لا لشيء سوى لأنّها أنثى خلقت لتكون وسيلة للمتعة وتلبية الشهوات حسب المنظور الذكوري الذي يبيح لنفسه مثل هذه الممارسات أمام صمت المجتمع وغياب القانون. في حين تعاقب المرأة على جريمة لم تقترفها بالقتل من طرف عائلتها، أمام أعين الجميع دون مساءلة أو محاسبة.

ومن هنا ندرك أنّ المجتمع فرض العفة على المرأة وأسقطها عن الرجل، وإذا غدر بها هذا الأخير يحكم المجتمع عليها بعدم الشرف ويقضي عليها وعلى مستقبلها. وهذا لأنّ «شرف البنت مثل عود كبريت يولع مرة واحدة وبعدها تنتهي البنت وتلقى في وعاء القمامة كعود الكبريت المستهلك. أما شرف الرجل فيمكن أن يولع آلاف المرات أو ملايين المرات ولا يستهلك أبدا»¹.

ومن هنا نستنتج أنّ مقياس الحكم على الشرف في المجتمع يتمثل في العذرية، غير أنّ هذا المقياس لا يمكن تطبيقه على الرجل، لأنّ «الرجل شريف طالما هو يعمل ويكسب مالا بصرف النظر عن علاقاته الجنسية بالنساء، بل إنّ الرجل في مجتمعنا يفتخر بتعدد علاقاته مع النساء ويعتبر ذلك نوعا من الانتصار والفوز»²، وهذا يدل على أنّ المجتمع لا يمتلك قيمة محدّدة للحكم على كلا الجنسين بقدم المساواة، إنّما يعامل المرأة معاملة مختلفة ويخضع جسدها لقواعد مسبقة.

وعليه فإنّ مسألة الشرف في المجتمع الجزائري مسألة حياة أو موت، ترتبط بشكل أساسي بالمرأة التي ينظر إليها على أنّها مصدر العار أو الشرف، ففي حالة التزامها بالقوانين الذكورية يصبح جسدها رمزا للشرف، أمّا إذا تعدّت على هذه القوانين تصبح عارا وفضيحة لا بدّ من فرض عقوبات عليها تصل إلى حدّ القتل، في حين يتسامح المجتمع مع الرجل ويغضّ الطرف على آثامه وأخطائه.

وهذه الصّورة النمطية حول شرف الفتاة وأهميّة عذريتها، نلمسها في قصة "فخ نفسي" أين أشارت فيها القاصة "ياسمينّة بريهوم" لما تتعرض إليه العرائس ليلة زواجهن من ضرب وإهانة دون مراعاة ارتباكهن وحيرتهن ورعبهن، بسبب جهل الزوج لطبيعة الأغشية واختلافها

¹ - نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ص 93.

² - المرجع نفسه، ص 27.

من فتاة إلى أخرى وهذا ما يجعل من حضور المرأة حضوراً من أجل ذات أخرى، وجسدها ملكية للآخر.

تظلّ هذه الصورة مترسخة في الذهنية الاجتماعية ومنتق عليها بين أفراد المجتمع بكل أطيافه، فغشاء البكارة لدى المرأة ضروري من أجل إثبات شرفها، كما يمنح للرجل فرصة إثبات فحولته بتمزيقه ليكون هو الفاعل المخصي للمرأة حسب رأي الأستاذة ألفة يوسف¹ حيث أنّ الجسد الأنثوي ساحة الحرب التي يُبين فيها الرجل قدراته وقوته، ويسجل انتصاراته، فتلك هي «اللحظة الفارقة التي تلزمه بأن يجتاز حاجزا ما ينتصر به على جسد طري، ويدمغ بطولاته لأسرته ومحيطه ولنفسه على قميص النوم، يحضّر لتواطؤ الجميع، ثقة الذكور في أنفسهم لا تعبر إلا جسد الأنثى»²، مثلما أشار إلى هذا مولود فرعون في روايته "الدروب المتصاعدة" من خلال حوار "مقران" مع نفسه أين يعتقد أنّ ليلة العرس كفيّلة بإثبات رجولته وتفخاره بها بين أهل القرية، حتى وإن استدعى ذلك اغتصاب جسد زوجته.

إنّ المجتمع الذكوري لا يتسامح مع ممارسات المرأة الخارجة عن القوانين والقواعد التي وضعها وحدّها بما يناسب ثقافته المتسلطة على كيان الأنثى وجسدها، فرغم ما يقدمه العلم من حقائق تبطل الاعتقادات البالية والأحكام القيمية والأفكار الراسخة في الذاكرة الجماعية، حول شرف المرأة وعلاقته بغشاء البكارة، نجد أنّ المجتمع الذكوري حريص على المحافظة على هذه العادات التي تهين المرأة وتجعل من جسدها ملكاً مشاعاً في المجتمع، تقول الساردة في قصة "فخ نفسي": «لقد اقتحم جمع النسوة الحاضرات في العرس، وهي طفلة، غرفة العروس العارية، وهنّ يزغردن ويرقصن، منتصرات على الإهانة، كانت حماتها تمرّ على النسوة مبتسمة، مبروك على وليدي "ماراحوش دراهمه باطل"»³، ممّا يؤكّد ما قلناه

¹ - ينظر: ألفة يوسف: وليس الذكر كالأنثى في الهوية الجنسية، دار التنوير، ط1، تونس، 2014، ص46.

² - ياسمينة بريهوم: أوجاع النساء، ص128.

³ - المصدر نفسه، ص130.

أعلاه بخصوص الاعتقاد أنّ غشاء البكارة حارس شخصي يفضح المرأة ليلة عرسها إذا ما تعدت على قيم المجتمع وأعرافه وتقاليد المتوارثة أبا عن جد.

وتذكر الساردة في السياق ذاته حين تستحضر الفرحة البادية على الطبيبات وهنّ يكتبن الشهادة الطبية من أجل إثبات العذرية مصاحبة بالكلمات المكررة « مبروك عليك، لاباس عليك راك طفلة، مبروك مقدا، بالرفاه والبنين»¹ ف«الستر هو مبدأ الخلق، وإلا كان الغشاء وضع في الجبهة كي نفتضح في كل حركة وسكنة!»²

من هنا تتمثل لنا الصورة النمطية التي تشكلت حول شرف المرأة، والتي غدت نسفا ثقافيا لا يمكن تجاوزه في خضم سيطرة الأفكار الذكورية، لكن في ضوء تعرية الطابوهات وفضح السلوكات السلبية في المجتمع، سعت النسويات إلى إدانة القمع الذكوري على الجسد الأنثوي، واختراق الثابت في العرف الاجتماعي، من أجل تغيير الصور النسقية التي لا هدف لها سوى تقييد حرية المرأة.

2- مساءلة مقياس الشرف في الكتابة النسوية:

يهدف السرد النسوي منذ بدايته إلى ردّ الاعتبار للجسد الأنثوي وتقويض الأفكار النمطية الجاهزة التي من شأنها إعلاء جنس الذكر عن الأنثى وكفالة جميع حقوقه وحرّيته الكاملة، بما فيها تلك التي تعتبر من المحظور والمحرم في المجتمعات المحافظة.

وفي سياق تركيز سلطة المجتمع على شرف المرأة دون الرجل وحصره في العذرية تضمّن القاصة جميلة لونيس بلحاج مجموعتها قصة بعنوان "المرأة المغتصبة" (La femme violente) والتي تريد من خلالها هدم كل الأنساق الثقافية التي تتحكم في ذهنية الأفراد،

¹ - ينظر: ياسمينه بريهوم: أوجاع النساء، ص130/129.

² - المصدر نفسه، ص127.

وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي كرّسها المجتمع الأبوي، وطرح القضية بشكل أكثر موضوعية ومنطقية وحرصاً ورجاحة.

تتناول هذه القصة قضية شائكة مستمدة من الواقع، من خلال شخصية "مروان" (Merouane) المتشبع بأفكار ذكورية تقليدية رغم حصوله على درجات عليا في الدراسة الجامعية، وهذا يحيل إلى عمق هذه الممارسات وتجزر هذه الأفكار في البيئة الجزائرية إلى أن غدت نمطا حياتيا ثابتا يصعب تجاوزه.

ترسم الساردة إذن صورة سوداوية قائمة للذكورة من خلال شخصية "مروان" الذي يبيح لنفسه انتهاك حرمان الآخرين، واعتبار ممارسة الجنس غير الشرعي مغامرات مشروعة ومقبولة، دون الشعور بلوم أو تأنيب ضمير، لامتلاكه كامل الحصانة في المجتمع، وفي نفس الوقت يحرص أن تكون زوجته شريفة عفيفة لم يمسهما بشر قبله.

فمن المنظور الذكوري تُعتبر الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج نوعا من الاستمتاع بالشباب ولا تضرّ الرجل في شيء، فلا فضيحة تلحقه ولا شرفه يلطخ، بل بالعكس تصبح مغامرات يسردها في كل مناسبة من أجل إثبات رجولته والاعتزاز بفحولته. غير أنه في حالة التفكير في الزواج يحرص أشدّ الحرص على انتقاء فتاة ملتزمة لا تملك شهادات عليا، ظنا منه أن جميع خريجات الجامعة مارسن بطريقة أو بأخرى علاقات غير شرعية، تقول الساردة: « مروان يخبر من يريد أن يسمع له أن النساء اللواتي حصلن على تعليم عال غير جديات، فهو يعرف ما يتحدث عنه، فمن الأفضل أن يتزوج من فتاة تعرف فقط القراءة والكتابة، نوع من الإوزة البيضاء»¹ وهذه أيضا صورة نمطية وُلدت عن رحم

¹– Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, p 291.

*«-Merouane dit à qui veut l'entendre que les femmes qui en fait des études supérieures ne sont pas sérieuses, il sait de quoi il parle, il est préférable d'épouser une qui sait juste lire et écrire, une sorte d'oie blanche»

المجتمع كوسيلة لمحاربة تعليم المرأة مثلما نصادف ذلك في رواية "تاء الخجل" أين تصطدم البطلة "خالدة" بمحاولات عمها في إقناع والدها على منعها من مواصلة الدراسة باعتبار أنّ كل من درس في الجامعة يسلكن طريق الانحراف، ويقعن في الرذيلة والفسق، وبأئين بحمل غير شرعي.

تعري الكاتبة الواقع الاجتماعي وتفصح عقلية الرجل الذي لا همّ له سوى جعل الجسد الأنثوي وسيلة لتحقيق المتعة وتوفير اللذة، فيظلّ يطارد المرأة مستخدماً شتى الحيل من حبّ ووعود كاذبة من أجل الإيقاع بها وغدر ثقته، أو اغتصابها مثل ما فعل "مروان" مع بطلة القصة "رحيمة" ثم التخلي عنها، لأنّها لم تعد شريفة وصالحة للزواج في نظره بعد أن انتهك عذريتها. لينقض كل وعده ويعلنها صراحة في وجه ضحيته « لا أتذكر وعدتك بأي شيء، لقد رافقتني إلى هذه الحفلة بمحض إرادتك، بالإضافة إلى أنّ والداي لن يوافقا على زواجي من فتاة غير عذراء»¹ لذلك اختار لنفسه زوجة أوقفت دراستها في الصف الثالث متوسط، ولا تخرج بمفردها و«عندما تضطر إلى الذهاب إلى مكان ما، تذهب مع زوجها، تلف نفسها بالحايك، وتضع اللثام على وجهها»² * وهذه الصورة ذات توجه نسقي تؤكد انحطاط ممارسة الرجال للجنس غير الشرعي اللإنساني دون أي روابط عاطفية، فقط من أجل إشباع رغبات حيوانية بعيدة عن معاني الرقة والعطف والرأفة.

لتكشف هذه الصورة التي نسجتها الكاتبة من عجرفة الفتى وضياع الفتاة، أهمية شرف المرأة في المجتمع، وضرورة الحفاظ عليه ومطالبتها بالعفة والالتزام بالحشمة وعدم

¹– Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, p289

* «-Je ne me rappelle pas t'avoir promis quoi que ce soit, tu m'as accompagné à cette fête de ton plein gré, tu ne peux rien prouver, en plus mes parents n'accepteraient jamais que j'épouse une fille non vierge».

²– Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, p290.

** «-lorsqu'elle doit aller quelque part, elle y va avec son mari elle s'enveloppe d'un haïk et porte un litham sur le visage».

إبداء زينتها للناس وحصر وظيفتها على مستوى منظومة البيت، للابتعاد عن كل الشبهات التي يمكن أن تلحق بها، وينظر إليها على أنها مصدرا للزيلة. كما أنه «في ضوء تعرية طابو الجنس، تؤكد الرؤية النسوية حقيقة رائجة، وهي أن الذكر لا يلحقه أي عيب عندما يمارس الجنس غير الشرعي مع الأخريات، وأن عيبه أو عاره الوحيد في انتهاك جسد محارمه»¹.

عملت الكاتبة على فضح وكشف عيوب المجتمع الذكوري وضرورة تصحيح المفاهيم وإعادة مراجعتها حيث أنه «إذا كان المجتمع يؤمن بالعفة في الجنس كقيمة خلقية فلا بد أن تسري هذه القيمة على جميع أفراد المجتمع، أما أن تسري على جنس دون الجنس الآخر أو على طبقة دون طبقة أخرى فهذا يدل على أن هذه العفة ليست قيمة أخلاقية وإنما قانون فرضه النظام الاجتماعي القائم»² وعليه إذن حاولت الكاتبة تعرية القيم المتناقضة التي يركز عليها المجتمع الذكوري والمتمثلة في العفة والفسق في نفس الوقت.

فالرجل في المجتمعات التقليدية يظل شريفاً ويتسم بكل صفات النبيل والطهارة مهما بلغ فسقه أو تجاوز حدوده الشرعية، مادامت زوجته وأخته وابنته محافظات على شرفهن وعفتهن. فبالإضافة إلى حصر مفهوم الشرف في الأعضاء الجنسية، فإن شرف الرجل لا يتعلق بسلوكه وتصرفاته إنما يرتبط بسلوك محارمه³. كما أن حماية العذرية ضرب من ضروب التملك للجسد الأنثوي الذي لا يتمتع بنفس حرية الجسد الذكوري، فجسد المرأة محل مراقبة الآخرين، لذا عمدت بعض الدول العربية سابقاً إلى ختان البنات لقتل الاستئثار الطبيعية الجنسية وفرض العفة عليهن. وقد ناضلت الناشطة النسوية المصرية نوال السعداوي ضدّ ختان البنات على مدار حياتها، واصفة إياه بأنه أداة شديدة القسوة لقمع

¹ - حسين المناصرة: مقاربات في السرد - الرواية والقصة في السعودية، ص 45.

² - نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ص 29.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 515.

النساء. وفتح قوسا لنشير إلى أنّ الكاتبة تعرضت لتجربة الختان في نص سير ذاتي مؤثر جدا تحكي فيه تواطؤ العائلة مع الشيخ لجرّها إلى الحمام وإخضاعها لعملية استئصال الأعضاء التناسلية الخارجية دون رحمة وشفقة.

كما سعت جميلة لونيس بلحاج أيضا إلى كسر الاعتقاد الشائع حول شرف المرأة وعذريتها من خلال هذه القصة التي نحت منحى آخر، مخالفا لما عهده القارئ كانتحار أو إصابة ضحية الاغتصاب بالجنون؛ "فرحيمة" شخصية قوية لم تستسلم أمام أوّل إخفاق في حياتها إنّما تزوجت برجل يمتلك ثقافة متحرّرة من الأفكار البالية التي تجاوزها الزمن، لتصل في النهاية إلى نتيجة تنفي كل الاعتقادات الباطلة التي تحصر شرف المرأة في العذرية فحسب. وتجعل شخصية "مروان" يصطدم بحقيقة عكس كل توقعاته حينما يدرك أنّ زوجته أجرت عملية قبل زواجها حتى تبدو عذراء، لاقتناعها التّام أنّ المجتمع الذكوري لا يتسامح مع علاقات المرأة الجنسية قبل الزّواج وإن كان هذا الرجل هو الطرف الثّاني في العلاقة، لكنّها في الأخير ستتحمل كامل المسؤولية حينما تزف إلى زوجها ولا بدّ من وجود دلائل تثبت براءتها.

بالإضافة إلى الحقائق العلمية المتوصل إليها والتي تقرّ باختلاف غشاء البكارة وإمكانية تأثره في حوادث أخرى غير الممارسة الجنسية، وغيابه في حالات أخرى رغم ندرتها، من الجدير بالذّكر أيضا أنّ فضّ بكارة المرأة ليلة الزفاف وسط طقوس مختلفة عادة قديمة تختلف من بيئة إلى أخرى فحدث أنّ تعرض العروس على الرّاهب من أجل إجراء اختبار لمعرفة مدى طهارتها، كما قد يتولى الأب مهمّة إجراء الاختبار بنفسه. غير أنّ مسألة البكارة غير واردة في القرآن بل شهادة أربعة شهود عيان شرط لاتهام أي امرأة بتهمة الزنى، وهذا ما يدلّ على أنّ غشاء البكارة ليس دليلا دامغا¹ لإثبات شرف المرأة، وكثيرة هي

¹ - ينظر: الصادق النيهوم: الحديث عن المرأة والديانات، دار تالة للنشر، الطبعة الأولى، لبنان، 2002، ص 84.

العادات والاعتقادات التي لا تمت بالدين الإسلامي بصلة غير أنّ المجتمع الذكوري ينادي بها ويدافع عنها ويدعي أنّها من الدين.

المبحث الثاني: المرأة بين الدين والواقع:

ركّز السرد النسوي في سعيه الحثيث لتعرية الطابوهات على المفاهيم الدينية الخاطئة التي تضاف إلى مجموع الخطابات الفلسفية والاعتقادات الأسطورية المرسخة في الذاكرة الشعبية، التي تركز لدونية المرأة والنظر إليها باعتبارها جسدا يغري الرجل ويمتعه، ومن هنا جاءت الكتابة النسوية للدعوة إلى ضرورة ردّ الاعتبار للجسد الأنثوي وتحريره من برائن الهيمنة الذكورية.

كما أنتج السرد النسوي خطابا جديدا يتسم بنوع من الجرأة النادرة والذي يهدف إلى رفع الستار عن المؤسسة الدينية والتفاد إلى المناطق التي جرت العادة على إبقائها في كنف التعقيم والكتمان. كذا فضح أدياء الدين الذين لا يطبقون التعاليم السماوية ويخالفونها وفي الوقت نفسه يلبسون لباس التقوى ويحملون راية الخشوع ويظهرون في صور بهية.

1- فتنة الجسد الأنثوي:

ارتبط الجسد الأنثوي منذ القدم بالفتنة والغواية من خلال مقولات فلسفية وتصوّرات أسطورية وأمثال شعبية أفرزتها فكرة دونية المرأة وانحطاطها، فترسخت في المخيال الاجتماعي صورة الأنثى العورة، ويتمظهر ذلك من خلال الخطابات الإبداعية الفنية التي تصف المرأة بالتركيز على جانبها الحسي والجنسي وتلغي جانبها العقلي والمعنوي في القصائد الشعرية والقصص الأسطورية كما « تشخصت صورة الجسد فنيا عبر المنحوتات في بلاد الرافدين من خلال أعضاء المرأة الجنسية، وهي مسألة تركزت مع الزمن الحديث

عبر استغلال المرأة- الجسد في السينما والدعاية والإشهار¹ ما يعني أنّ صورة المرأة /الجسد تزداد رسوخا عبر الزمن إلى أن غدت نسقا ثقافيا متفقا عليه.

تعمل الثقافة الذكورية على استغلال الجسد الأنثوي من أجل الترويج للسلع والمنتجات والأفلام السينمائية واستثماره لجذب المشاهدين والمستهلكين، و« جاء العقاد ليتكلم بلسان هذه الثقافة ويقول أنّ المرأة خلقت جميلة لسبب واحد هو أن تسعد بها عيون الرجال كما تسعد بالنظر إلى الفاكهة»²، ويرسخ هذا الاعتقاد جملة من النصوص الفقهية التي تصف المرأة على أنّها عقل ضعيف وأداة جنس ومصدر خطيئة، إلى أن تحوّلت إلى مجرد جسد شقي ووعاء لإفراغ شهوات الرجل، لذا يشدّد المجتمع على خطورة الجسد الأنثوي وضرورة فرض حجاب على هذا «الكائن المثير للشهوة المحرك للغرائز، الباعث على الفتنة وأحبولة الشيطان.. إلخ، ويصبح الحل الوحيد هو ((الوآد)) الذي كان يمارسه العربي البدوي في الجاهلية. لكنّه ((الوآد)) داخل اللباس الأسود المغلق تماما إلا من فتحتين للعينين درئا للشبهات.»³ وإخفاء الجسد الأنثوي جاء امتدادا للاعتقادات التي تُحمل المرأة مسؤولية التهيج والإثارة والإغراء والوقوع في الخطيئة.

اكتسى موضوع حجاب المرأة حيزا واسعا في السرد النسوي العربي والجزائري، خاصة بعد التزايد الهائل في بروز الحركات الإسلامية التي تشجع المرأة على حجب جسدها، وإخفاء محاسنها باعتبارها مصدرا للفتنة والغواية، لذا تؤكد الكاتبات النسويات أنّ النصوص القرآنية تخضع لتأويلات تركز بشكل أساسي على حجب جسد المرأة على أساس أنّها عورة وهذا ما تعتبره إجحافا في كينونتها ووجودها.

¹ - زهور كرام: السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، ص13.

² - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص29.

³ - نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2004، ص38.

حاولت القاصة جميلة لونيس بلحاج فضح الهيمنة الذكورية وتعرية الممارسات السلطوية التي تتخفى وراء الدين من أجل فرض السيطرة على المرأة، فطرحت تيمة الحجاب كأحد أساليب القمع التي ينتهجها المجتمع ضد حرية الجسد الأنثوي تحت مسمى الشريعة. وتحمل قصة "المرأة الأرملة" (la femme veuve) بين طياتها بعدا مخالفا لرؤية الفقهاء للحجاب كوسيلة لإخفاء محاسن الجسد وفتنته ومنه حماية شرف المرأة وعرضها، من خلال حادثة الاغتصاب التي تعرضت لها "سليجة" من طرف عمها رغم لباسها المحتشم، ورأسها المغطى بالخمار، فالحجاب في هذه القصة لا يشكّل رادعا قويا لكبح شهوات الرجل الجنسية، ف« حينما يريد الرجل أن يؤدي لا يحتاج لاستفزاز. قصة الحجاب ما هي إلا وسيلة لإضفاء الشرعية على العنف ضد النساء»¹ وما فرض زيّ الحجاب على المرأة - حسب نصر حامد أبو زيد- إلا «تجسيد رمزي للتغطية على عقلها ووجودها الاجتماعي».²

وإذا تجاوزنا الجدل القائم حول مشروعية الحجاب والآراء المتضاربة حول الزيّ الشرعي الذي ينبغي أن تراعيه المرأة المسلمة فإنّ الحجاب باتفاق الفقهاء يعني « الاحتجاب عن الرجال وبمعنى حجب زينة المرأة وستر معالم جسمها عن أيّ تعرض لأعين كل الرجال حتى لا تكون عرضة للإغواء وبالتالي الوقوع في الحرام»³، وهنا يتساءل قاسم أمين حول ضعف عزيمة الرجل بالمقارنة مع القوة التي تمتلكها المرأة في ضبط نفسها أمام الرجل الذي لم يؤمر بستر وتغطية وجهه! ولدرء الفتنة -حسب رأيه- غضّ البصر كحكم شرعي موجّه للذكر والأنثى على حد سواء.⁴

¹- Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, P126.

* «-lorsque l'homme veut faire du mal, il n'a vraiment pas besoin de provocation. Cette histoire de foulard, de hidjab, c'est pour légitimer la violence à l'égard des femmes »

²- نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ص125.

³- المرجع نفسه، ص121.

⁴- ينظر: قاسم أمين: تحرير المرأة، ص43.

وفي خضم الطرح الذي أنتجه السياق الثقافي حول الجسد الأنثوي كرمز للفتنة والإغواء، جاءت في القصة أصوات مدعمة لهذه الرؤية التي تنادي بإخفاء محاسن المرأة كضرورة لا بد منها من أجل حماية نفسها، وهذا ما ورد على لسان "فاطمة" في حديثها عن الحجاب، فتقول « افترض. حينما لا يرى الرجل ساقا ولا شعرا، يظل هادئا، فمن أجل مصلحة المرأة يجب أن تختبي، حتى لا تضايق، أو تتعرض للهجوم.»¹ * غير أن هذه الرؤية الراسخة في المجتمع لم تصمد في هذه القصة أمام الطرح المغاير الذي أنتجه الوعي النسوي الذي يسعى منذ نشأته إلى تهديم المشروع الثقافي الذي أسسه الرجل أين أسند لنفسه كل القيم الإيجابية وللمرأة القيم السلبية.

لذلك يعمل التوجه النسوي إلى تصحيح هذه المفاهيم المنبثقة من صلب المجتمع، من خلال تقديم صور مخالفة للاعتقادات النمطية السائدة، فالحجاب حسب هذه القصة لا يمثل سوى غطاء تحتجب به المرأة امتثالا للقوانين التي صاغها المجتمع وما هو إلا وسيلة لقمع حريتها، وشهوة الرجل لا يحدها الحجاب، بل عمدت الكاتبة على تقديمها في صورة مرضية غير طبيعية لا تحتاج لإثارة أو إشعال أو تحريض، أشبه بغريزة حيوانية: «هل يتعين علينا أن ننغلق على أنفسنا لإرضاء عدد قليل من الرجال؟ ألا يتعين عليهم أن يذهبوا للعلاج؟ هل سيقنصر صلاح الرجل على وشاح؟»² * وهذه رؤية نسوية محضة تصنف الشهوة الجنسية لدى الرجل في منزلة سفلى لأنها تفنقد لكل معاني الإنسانية.

تناولت الكاتبة من خلال هذه القصة بالنقد والإنكار بعض المفاهيم الخاطئة التي يتمسك بها المجتمع كأشد ما يكون التمسك، وتلك التناقضات التي لا بد من فضحها

¹- Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur,P126.

* «-Je suppose. Quand l'homme ne voit ni une jambe, ni une chevelure, il reste serein. C'est pour son bien que la femme doit se cacher, pour ne pas être embêtée, attaquée.»

²- Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur,p126.

** «-Mais enfin, devons-nous nous cloîtrer pour faire plaisir à une petite quantité d'hommes ? Ne devraient-ils pas plutôt aller se soigner ? Le bonheur de l'homme se limiterait-il à un foulard ?»

ومساءلتها، فأولئك الذين يدعون إلى تحجيب المرأة كوسيلة لنبذ الفساد، يبيحون لأنفسهم انتهاك عرضها دون أي اكتراث للتعاليم الدينية التي تتنافى مع هذه الممارسات.

كما عمدت إلى إبراز صورة الرجل المعتدي والشهواني الذي تجاوز كل القيم وأصبح يتبع غرائزه التي جعلت من الأنثى موضوعاً للرغبة والغواية ومجرد وعاء يفرغ فيه مكبوتاته و« تقدم هذه الرؤية علاقة الرجل المرضية بالجنس غير الشرعي، وفي هذا انتقاد للذكورة التي تعودت على أن تعد الجنس مجرد تفريغ لمكبوتات غريزية، بأساليب عبثية، تحيلهم إلى آلية مرضية في تصوراتهم عن الجنس وممارساتهم له، الأمر الذي يكشف عن تعرية نسوية للذكورة الشهوانية المرضية في المجتمع»¹ ولا بد أن إلقاء الضوء على جريمة الاغتصاب الواقعة على المحارم في المجموعة القصصية "المرأة في النور المعتم" (la femme en clair-obscur) شكل من أشكال الخوض في المحظور، فرغم تنامي هذه الظاهرة بشكل كبير في المجتمع إلا أنه يتعذر تحديد حجمها بالنظر إلى الكتمان الذي يحيط بها وكذا غياب القانون الردعي لمثل هذه الممارسات التي تمسّ بعرض المرأة وكرامتها.

2- المرأة مسؤولة عن الخطيئة:

في ظلّ التواتر الثقافي لصورة الجسد الأنثوي الباعث على الفتنة، عملت السلطة الدينية على ترسيخ « صور منمنجة للمرأة طرحتها الثقافة الذكورية، وباتت مستقرة في الوعي الجمعي، كصورة المرأة/الجسد، والمرأة/الشیطان، والمرأة/العاطفة»² والتي جاءت استناداً إلى تأويلات النصوص التوراتية، التي تحمّل المرأة لا الرجل مسؤولية الوقوع في الخطيئة منذ خروج آدم من الجنة، فعلى الرغم من أن النص القرآني لم يفصل في هذه المسألة ولم يأت ذكر الإغواء كسبب في الخطيئة، إلا أن المجتمع الذكوري اعتمد على

¹ - حسين المناصرة: مقاربات في السرد - الرواية والقصة في السعودية، ص 53.

² - حمد البليهد: مقاربات في السرد النسوي، ص 45.

قصة آدم و حواء في صياغتها التوراتية* لأنها أكثر تماشياً مع الفكر الذكوري المسيطر ورغبته في استغلالها إيديولوجياً لإلقاء تهمة الخطيئة على المرأة.

أدانت التوراة المرأة على ارتكاب المعصية الأولى بعد أن قدمت حواء لآدم تفاعلاً وأغرته بأكلها، فكانت سبباً لعصيان أوامر الله، لذا تقرّر بناء على ذلك عقاب بنات حواء حسب النصوص التوراتية بالحيض وآلام الولادة والنجاسة والتبعية للرجل^{1**}، غير أن القرآن لم يخص فقط حواء بالعقاب بل جعلهما شركاء في فعل المعصية وشركاء في العقاب، يقول الله تعالى: ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36))) (سورة البقرة، الآية 36/35) وفي موضع آخر خصّ آدم بذلك ويقول: ((فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سِوَاهُمَا وَطَفَقَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121))) (سورة طه، الآية 120/121). غير أنّ المجتمع الذكوري يعتمد على النصوص التوراتية أكثر من اعتماده على النصّ القرآني في قصة خروج آدم من الجنة والتي ساهمت بشكل واضح وبارز في خلق فكرة دونية المرأة التي ظلّت تحكم المجتمعات الإسلامية إلى يومنا هذا.

تمثل هذه القصة-خروج آدم وحواء من الجنة- أرضاً خصبة لنماء الأفكار الدونية التي يسعى المجتمع إلى غرسها والتمسك بها، فأحسن استغلال هذه القصة في بناء مشروعه

*- بعد اعتناق اليهود الإسلام حدثت عملية التأثير والتأثر بين العقيدتين، فظهرت جملة من التفاسير التي اعتمدت فيها المفسرون على التراث اليهودي في تفسير بعض التفاصيل التي لم يجر ذكرها في القرآن الكريم.

¹- ينظر: الصادق النيهوم: الحديث عن المرأة والديانات، ص17.

**- ترتب عن تلك النصوص التوراتية التي وضعت مسؤولية الخطيئة فوق عاتق المرأة، اعتقادات عديدة انصهرت في الذاكرة الشعبية كاعتبار الحمل والولادة وما يصحبهما من آلام عقاباً ألبداً للمرأة، وأن الحيض نجاسة ينبغي التطهر منه فيحرم عليها دخول الأماكن المقدسة، وتسقط عنها بعض الفرائض الدينية وبناء على ذلك حكم المجتمع الذكوري على المرأة بنقص العقل والدين.

الذي يقصي المرأة كذات فاعلة إلا بوصفها فاتنة ومغرية وباعثة للشر والفساد، وقد تمظهر هذا النسق في قصة "المرأة الأرملة" (La femme veuve) من خلال ردة الفعل التي أبدتها "فاطمة" بعد أن تعرضت ابنتها للاغتصاب، وهي تحاول بشتى الطرق تبرئة المجرم لأنه رجل دين لا يجزؤ على اقتراف هذا الذنب، فتدّين ابنتها بإغواء عمها « كيف؟ هل تجربين على اتهام أحمد رجل دين؟ من الأفضل أن تخبريني الآن باسم هذا الرجل القذر وإلا أقسم أنني سأذبحك مثل كبش العيد!»¹ * وتواصل بعد أن أكدت لها الفتاة أن الفاعل هو العم « سليجة انظري إلي، ماذا فعلت لتجعلي عمك يتصرف هكذا؟ أنت من تسبب في ذلك بالتأكيد! تجولت في المنزل بملابس خفيفة وشعر مطلق»² **، وهنا نستشف الرؤية النمطية التي انغrust في الذهنية الجماعية والمتمثلة في أن المرأة هي التي تستفز الرجل وتغريه لاغتصابها، وهي التي تدفعه للوقوع في الخطيئة.

يصبح الرجل حسب هذا الطرح ضحية للإغراء الأنثوي وبريئا من هذا الفعل، تقول ألفة يوسف: « ينتج عن إسناد الإغواء الجوهري إلى المرأة تحميلها مسؤولية شوق الرجل لها إن في حضور الشوق أو في غيابه. فالمسؤول عن الاغتصاب وفق التصور الثقافي الجمعي هي المرأة المغربية»³، ومن هنا يظهر بصورة جلية إجحاف الأسرة وتطرف المجتمع في التعامل مع المرأة كرمز للسلبية والخطيئة، وتجريد الرجل من كل الآثام والخطايا، فهو مجرد مستجيب لرغبة الأنثى وإغرائها.

¹– Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, p132.

*«-Comment ? Tu oses accuser Ahmed, un homme de religion ? Tu ferais mieux de me dire tout de suite le nom de ce sale individu, sinon, je jure par Dieu que je vais t'égorger comme le mouton de l'Aïd !»

²– Dj. Lounis-Belhadj : la femme en clair-obscur, p137.

**«-Slidja, regard-moi, qu'as -tu fait pour que ton oncle se comporte ainsi ? Tu l'as sûrement provoqué ! Tu as dû te promener, dans la maison, en petite tenue et les cheveux lâchés.»

³– ألفة يوسف: وليس الذكر كالأنثى، ص64.

هكذا أصبحت الخطيئة المنسوبة إلى حواء حكما يسري على كل بناتها جيلا عن جيل، وغدت قصة بداية الخلق وخروج آدم من الجنة نسقا ثقافيا يتم استحضاره كلما استدعت الحاجة إلى تبرير خطأ الرجل وتبرئته من الآثام التي يقتربها، فنقول "فاطمة" (Fatima): «الرجل لم يتغير منذ آدم الذي أكل تفاحة لإرضاء امرأة إلى أيامنا الآن»¹، فالإغراء صفة جوهرية متلازمة مع الأنثى منذ حواء، لذلك لا يتوانى المجتمع الذكوري لحظة في اتهام المرأة في ذنب لم تقتربه هي، وينفي عن الذكر كل التهم ويجعله في صورة آدم البريء تلك التي « في حقيقتها تعكس مجتمعا يكون الرجل فيه هو مثال الخير والبراءة، في حين تمثل الأنثى الشر والخطيئة. فالقصة تشير إلى المجتمع أكثر مما تفسر النص الديني»².

هدفت الكاتبة جميلة لونيس بلحاج من خلال نصها القصصي إلى فضح تناقضات المجتمع الذكوري بتسليط الضوء على ظاهرة الاغتصاب المنتشرة في المجتمع والمرفوضة دينيا وأخلاقيا وإنسانيا، كعنف يمارسه الرجل على المرأة والذي يخلف تأثيرات سلبية عليها، خاصة وأن المجتمع يمارس عليها عنفا آخر بتحميل كامل المسؤولية على عاتق المرأة. اهتم السرد النسوي بتشخيص واقع المرأة من منظور جديد من خلال تجاوز المؤلف، وتأسيس خطاب جديد بالانفتاح على مناطق الظل وإنارة مواطن العتمة وكشف الغطاء عن العوالم السرية، لرفع قيمة الذات الأنثوية ونفضها من المفاهيم الخاطئة والمتراكمة عليها، ورد الاعتبار لجسدها. فالكتابة لدى المرأة رحلة في الأغوار الدفينة والدهاليز المظلمة لتعرية تناقضات المجتمع وممارساته الجائرة وإطلاق صرخة احتجاج والمطالبة بكرامة المرأة وحقوقها المسلوبة.

¹ - Dj. Lounis-Belhadj :la femme en clair-obscur, p137.

* «-L'homme n'a pas changé depuis Adam qui a mangé une pomme pour plaire à une femme jusqu'à nos jours».

² - نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ص21.

خَاتِمَةٌ

بعد هذه الرحلة العلمية الممتعة التي اشتغلنا فيها على نموذجين من القصة القصيرة النسائية الجزائرية المعاصرة، أفضت بنا الدراسة التي أردنا بها رصد واقع الأنثى وهمومها، إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها في ما يأتي:

- لعلّ من بين ما يميّز السرد الجزائري المعاصر اقتحام عدد كبير من الكاتبات غمار الإبداع القصصي، فبعدما خلا تراثنا من كاتبات في السرد بخلاف بعض الأصوات النسائية على ندرتها، وبعدما ظلّ عددهن محسوبا على رؤوس الأصابع في العصر الحديث، فإنّه غدا من الصعب في الفترة الراهنة مواكبة كل الأعمال السردية التي تفيض عن مخيال النساء.
- يعود سبب غياب الكاتبات عن المشهد الثقافي وتأخر ظهور الإبداع النسائي العربي والغربي بالمقارنة مع الإبداع "الرجالي" إلى حالة التّعقيم والتهميش التي طالت المرأة كذات منتجة وفاعلة في المجتمع، بالإضافة إلى عملية التصفية التي تجريها المؤسسة الثقافية الرسمية التي تحتفي بنتائج الرجل، وتقصي إبداع المرأة.
- الكتابة بعد سنّ متقدمة ظاهرة عالمية مرتبطة بالمرأة أكثر من الرجل، لاعتبارات عديدة أهمها الدور الاجتماعي المؤكّل للمرأة والذي يُشكّل عائقا في خوض تجربة الكتابة، بجانب الانخراط في العمل الوظيفي أو الدراسات الأكاديمية، ما يجعل المرأة تتعثر في تجربتها الإبداعية. غير أنّ الكتابة في سنّ متقدمة تتسم بنوع من الرخاوة وعمق النظرة ودقّة الطرح، والبعد عن السطحية والسذاجة.
- ساهمت الكتابة النسائية في تطوير التيمات الحكائية، من خلال طرح مواضيع لصيقة بعالم المرأة والأنوثة، من شأنها إضفاء سمات مميزة على الإبداع الأدبي.
- الكتابة وسيلة المرأة في البوح عمّا يجول داخلها وسرد تفاصيل معاناتها ومواجهة السلطة الذكورية بنبرة حادة ولغة جريئة. فكتبت جميلة لونيس-بلحاج وياسمينه بريهوم عن حرمان المرأة وتبرزان اضطهاد المجتمع لها وتلحان على رغبتها الشديدة في الإفلات من

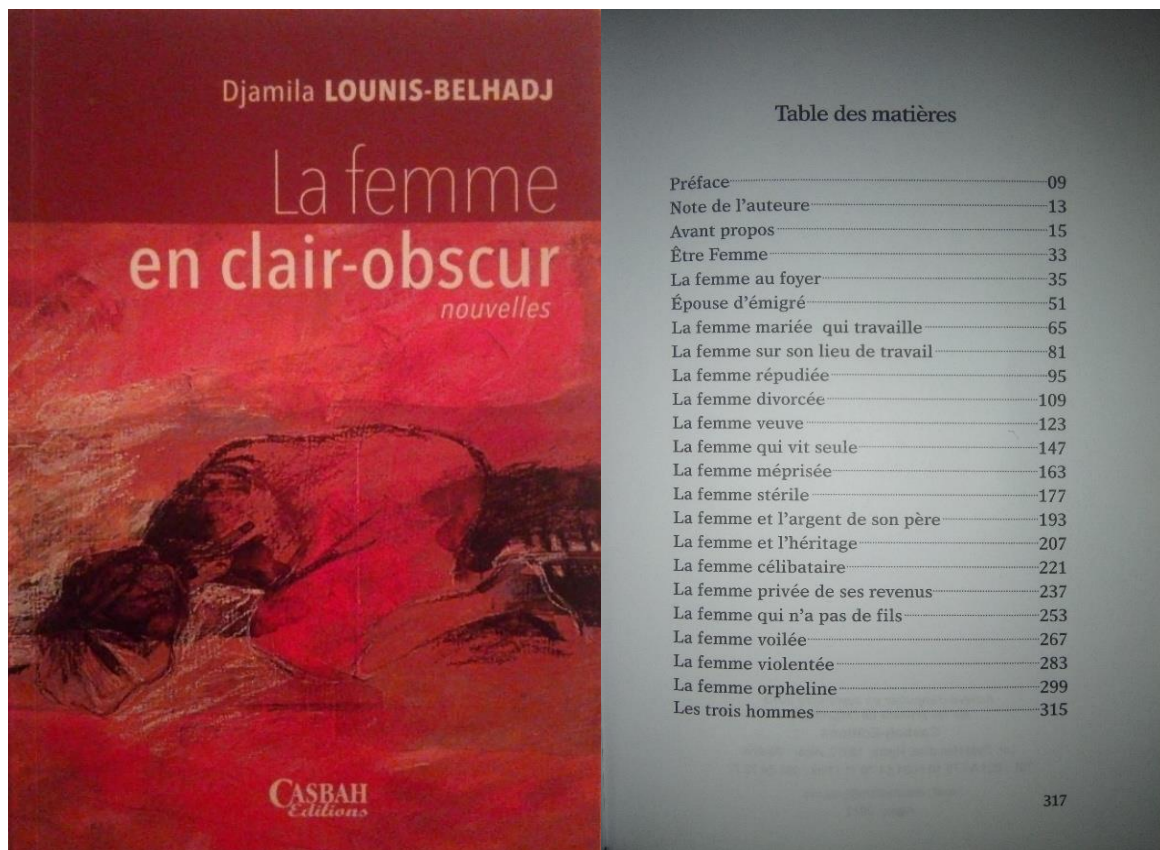
- قبضة بعض المفاهيم والتقاليد التي أحاطتها بسياج سميك وحاصرت مشاعرها وجسدها وعرقلت تحررها واختزلتها إلى مجرد لاحق غير قادر على الفعل والإبداع.
- انطلقت الكاتبة جميلة لونيس-بلحاج في مجموعتها القصصية "المرأة في النور المعتم" من رصد سلسلة الممارسات الجائرة التي يمارسها المجتمع الذكوري على المرأة، والتي كانت نتيجة لترسبات تاريخية ثقافية كرسّت مبدأ التفاوت الاجتماعي بين الجنسين.
- يطغى التسلط الاجتماعي والهيمنة الذكورية على المتن القصصية الجزائرية المعاصرة، وذلك بهدف تعرية الواقع الاجتماعي وفضح القهر وهدم المشروع الذكوري المؤسس على التراتبية الجنسية.
- ركزت ياسمينه بريهوم على نقل مكونات المرأة العميقة وحالاتها النفسية جرّاء ما تعانيه من اضطهاد وعنف وتعسف في المجتمع، ومنه فإنّ الكتابة السردية أضحت مجالاً تستعيد فيه المرأة صوتها المغيّب، وتفرض كيانها ووجودها كذات مستقلة.
- تميّزت نصوص مدوّنتنا بالجرأة في تجاوز المألوف والسائد وطرح المحظورات واستنطاق المسكوت عنه وكشف الزيف الخارجي، وإحداث خلخلة في العرف السائد، من خلال إنتاج رؤى جديدة وأفكار مشحونة بالرّفص والانعتاق من القيود الاجتماعية التي ظلّت تتحكم في حياة المرأة ردحا من الزمن.
- يهدف السرد النسوي في مجمله إلى تحرير المرأة من العوائق التي شلّت حركتها قروناً عديدة، ومواجهة العادات والأعراف والمفاهيم الخاطئة المنبثقة عن رحم النّقافة الذكورية، والتي أدت إلى هدر كرامتها وتدني وضعيتها في المجتمع.
- تسعى الكتابة النسوية إلى فضح الممارسات اللاأخلاقية وغير المشروعة والتي حاولت النّقافة الذكورية إلى إلباسها عباءة الدين، لإضفاء الشرعية عليها. لذا أسست الكتابة النسوية لخطاب مغاير يركز أساساً على كشف تناقضات المجتمع، والدعوة إلى ضرورة الفصل بين الدين وخطابات الهيمنة الذكورية.
- في الأخير يمكننا القول إنّ القصة القصيرة كجنس أدبي له مقوماته، استطاعت أن تتقل هموم المرأة، وتستوعب تضاريس واقعها، وتُشخص طموحاتها ورغباتها، غير أنّ هذه

الدراسة التي أردناها نافذة مفتوحة على الواقع الأنثوي في القصة القصيرة النسائية الجزائرية هي بداية لأسئلة متعددة حول إبداع المرأة. كما نتمنى أن نكون قد لامسنا بعض النقاط المهمة بخصوص كتابة المرأة، ونرجو أن نكون مقبولي العذر عند وجود أي خلل أو تقصير، فعزأؤنا الوحيد أننا اجتهدنا.

مَلَأَحِق

المجموعة القصصية الأولى: "المرأة في النور المعتم" (La femme en) :(clair-obscur)

"المرأة في النور المعتم" (la femme en clair-obscur) مجموعة قصصية صدرت سنة 2013م للكاتبة الجزائرية جميلة لونيس بلحاج، تضم ثمانية عشرة قصة قصيرة، مستوحاة من أحداث واقعية، وهي نتاج مراقبة ثاقبة وملاحظة دقيقة لحالة المرأة في المجتمع، سلّطت الكاتبة فيها الضوء على الأوضاع الخائفة لمختلف شرائح النساء وهذا واضح من خلال عناوين القصص (المرأة المطلقة، المرأة الأرملة، المرأة اليتيمة، المرأة العقيم، المرأة غير المتزوجة، المرأة في مكان العمل... وغيرها).



1- التعريف بالكاتبة جميلة لونيس-بلحاج:

كاتبة جزائرية وأستاذة في التعليم المتوسط، تقاعدت عن العمل بعد أن زاولت مهنة التدريس من 1972م إلى 2011م، مؤلفة لقصص الأطفال، والكتب اللامنهجية، كما ترجمت كتاب "كليلة ودمنة" للغة الفرنسية. حصلت على جائزة مسابقة التدريس سنة 1996م، وحازت على الجائزة الأولى في مسابقة دولية للقصة القصيرة سنة 2004م.

2- ملخص القصص المعتمدة في البحث:

القصة الأولى: "رَبّة بيت" (La femme au foyer):

"يمينة" زوجة وأم لأربعة أطفال، تتفق كل وقتها في خدمة زوجها والاعتناء بأبنائها، لكنّها تصطدم دائما بمعاملة زوجها القاسية الذي لا يحترمها ولا يقدر مجهودها ويعتفها دون سبب يذكر، فسبب لها جروحا خطيرة مرّات عديدة وتسبّب في إجهاضها. ورغم مأساة "يمينة" اليومية وما تعانيه من ضرب وتعنيف واهانة طيلة سنوات زواجها، لم تجد غير الصبر والجلد حلا لها خوفا من تشتت أسرتها وضياع أبنائها، إلى أن ضاقت ذرعا بتصرفات زوجها التي لم تعد تطاق فقد أصبح يعنف أبناءه ولا يبالي بنتائج تصرفاته، فاستجبت بأخيها ووجه له إنذارا، لكن هذا التهديد لم يُجد نفعاً، ولم يغير شيئا من تصرفات الزوج "محمد" لذا لم يبق للبطلة سوى وضع حدّ لمأساتها بمواجهته والدفاع عن نفسها.

القصة الثانية: المرأة الأرملة (La femme veuve):

"فاطمة" أرملة وأم لثلاثة أطفال، ضمّت عائلة أخ زوجها للعيش معها في نفس البيت منذ وفاة زوجها، لضمان أمنها وأمن أبنائها، وضعت "فاطمة" ثقة كاملة في "أحمد" فوّقت له وكالة لسحب أموالها الخاصة، ولم يساورها شك أبدا حيال أخ زوجها خاصة وأنه إمام وداعية، له سمعة حسنة وهو حريص على تحجيب نساء العائلة ليكنن مثالا للعفة والطّهارة،

لكن "أحمد" تحيّن فرصة غياب الجميع واغتصب ابنة أخيه التي تبلغ من العمر خمسة عشرة سنة واختفى من الأوساط، تاركا الفتاة تواجه مصيرها، أمّا "فاطمة" حسمت أمرها وقررت أن تباشر حياتها مع أبناءها دون الاعتماد على أحد، فألغت وكالة سحب المنحة الشهرية، وظلت تنتظر عودة "أحمد" لمواجهة وتحميله مسؤولية تصرفه، لكنّه لم يعد إلا بعد فوات الأوان وانتحار "سليجة".

القصة الثالثة: المرأة المحرومة من دخلها (La femme privée de ses

:revenus)

"حرية" فتاة مثابرة ومجتهدة حازت على شهادة التعليم الابتدائي، كان حلمها مواصلة الدراسة استجابة لرغبة أبيها، لكن حلمها تحطّم بعد وفاة الأب واصطدامها باعتراض أخويها على مواصلة دراستها، فتجد نفسها مع والدتها محرومتان من الخروج والتنزه، فقد تولى الأخ الأكبر مهمة اقتناء حاجياتهما بجزء من المنحة المخصصة للأم ويتقاسم الباقي مع الأخ الثاني، وفي كل مرة تطالب فيها الأم بأموالها الخاصة -خاصة وأنها تحتاج لضروريات أخرى غير الأكل- يهددها "طاهر" بهجرها، وبلغ الأمر إلى حدّ الاعتداء عليها ضربا، فلم تطالب الأم مرة أخرى بأموالها. في الأخير اعتذر الابن الأصغر "صالح" من أمه عن تصرفه اللاأخلاقي بعد تعرض "طاهر" لحادث مرور خطير أدى إلى بتر ساقيه.

القصة الرابعة: المرأة المغتصبة (La femme violentée)

"رحيمة" فتاة محافظة تدرس في الجامعة أين تعرفت على شاب يدعى "مروان" في حفلة عيد ميلاد لإحدى الصديقات أرغمها على شرب الخمر فاغتنم فرصة فقدانها للوعي واغتصبها، ثم تخلى عنها بعد ذلك متناسيا وعوده لها رافضا أن تكون زوجته لأنها لم تعد عذراء، واصلت "رحيمة" دراستها وهي تكتم السرّ في داخلها إلى أن تزوجت، وأنجبت أطفالا، وشاءت الأقدار أن تلتقي في إقامتها الجديدة بصديقها "مروان" الذي اشتعل غيرة حين رآها،

كيس خفيف، الأخودان، اليوميات المنسية لتشكل حذبة، صعقة كهربائية، عملية صغيرة، كماوى، فح نفسي» ركزت فيها الكاتبة على أوجاع الأنوثة.

1- التعريف بالكاتبة ياسمينه بريهوم:

أديبة جزائرية، أستاذة ومنشطة ثقافية واجتماعية، لها عدة كتب منشورة، منها "بيت النار" مجموعة قصصية، و"رغبات خامدة" مجموعة قصصية، و"حرب يوغرطة" (ترجمة)، و"التواصل غير العنيف في يومياتنا" (ترجمة).

2- ملخص القصة المعتمدة في البحث:

القصة الأولى: قتلت جدتي:

تعاني البطلة منذ صغرها من تسلط جدتها التي تتدخل في كامل شؤون العائلة، وأكثر ما كان يزعجها هو ارتياد حفيدتها الكبرى إلى المدرسة يوميا، لأنها تجد في ذلك عيبا وعارا لا يليق بالعائلة، وبهذا حاولت إقناع ابنها، لكنّه كان أكثر وعيا من أن يمنع ابنته عن التعليم، لذلك أصبحت تدّعي المرض لتضطر الحفيدة إلى البقاء في المنزل لمساعدة أمها، وتخفي كرايسها وتمزق كتبها، ففي اعتقادها أنّ الفتاة ينبغي لها أن تتعلم تدبير شؤون المنزل، وتبدع فيها، واشتدّ الصراع بين الجدّة والحفيدة حينما رفضت ابن عمّتها زوجا لها، واستمر الوضع كذلك حتى آخر يوم في حياة الجدّة، فحتى حينما كانت على فراش المرض، رفضت أخذ الدواء الذي وصفته إياها الحفيدة.

القصة الثانية: الـقراقوز

وسط زخم الحياة الزوجية والعملية، تعاني البطلة من ضياع وتشنتت داخلي لا تجد له سببا، فرغم ما تملكه من حرية في التصرف بعد زواجها لكنّها تشعر بنوع من التقييد الذي أرهقها، وسبّب لها صراعات داخلية وعصبية، فهي لا تجد في حياتها شيء يشعروها بتلك

الحرية، بعدما سخّرت كل حياتها لإرضاء والديها ثم زوجها وأولادها في المقابل لا أحد يحسّ بوحدها القائلة التي أدخلتها في دهاليز الخوف والرعب.

القصة الثالثة: فخ نفسي:

في جلسة مع أخصائية نفسية تحاول البطلة استحضار الذكريات العالقة في ذهنها، والتي لا تجد لها مخرجا، منذ حادثة الاغتصاب التي لا تدرك فعلا إن تعرضت لها أو لا، فذاكرتها لم تعد تستوعب تسلسل الأحداث وترتيبها ولا تقدر أن تفصل بين الخيال والحقيقة، خاصة وأنّ هذه الهواجس قد أثّرت كثيرا على نفسياتها، حتى أصبحت حياتها الزوجية غير متوازنة، مع أنّ الطبيبات أكدنّ لها أنّها لا تعاني من برود جنسي لكن في قرارة نفسها لا تشعر بأي توافق أو استجابة.

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصادر:

1- Djamila Lounis Belhadj : La femme en clair-obscur, Casbah Éditions, Algérie, 2013.

2- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، الطبعة الخامسة عشر، بيروت، 2000م.

3- أحلام مستغانمي: شهيا كفراق، هاشيت أنطوان (نوفل)، لبنان، 2019م.

4- فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر.

5- ياسمينه بريهوم: أوجاع النساء، دار ميم للنشر، الجزائر 2019م.

المراجع:

الكتب:

1- إبراهيم أحمد ملحم: الأنثوية في الأدب- النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2016.

2- إبراهيم محمود: جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 2002.

3- الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2011.

4- ألفة يوسف: وليس الذكر كالأنثى في الهوية الجنسية، دار التنوير، الطبعة الأولى، تونس، 2014.

5- أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار، الطبعة الثانية، سوريا، 1995.

- 6- بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، لبنان، 2009.
- 7- حسين المناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013.
- 8- حسين المناصرة: مقاربات في السرد- الرواية والقصة في السعودية، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2012.
- 9- حمد البليهد: مقاربات في السرد النسوي، المركز الثقافي للكتاب، الطبعة الأولى، المغرب، 2017.
- 10- رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة- سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، المغرب، 2002.
- 11- زهور كرام: السرد النسائي العربي- مقارنة في المفهوم والخطاب، المدارس، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2004.
- 12- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 13- الصادق النيهوم: الحديث عن المرأة والديانات، تالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2002.
- 14- عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2006.
- 15- عصمت محمد حوسو: الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، الطبعة الأولى، الأردن، 2008.
- 16- علي محسوب: العنف عند الأطفال والمراهقين، المركز القومي، القاهرة، 2000.

- 17- فاطمة كدو: الخطاب النسائي ولغة الاختلاف- مقارنة للأنساق الثقافية، دار الأمان، الرباط.
- 18- فؤاد أبو الحطب: علم النفس التربوي، دار النهضة، مصر، 1995.
- 19- قاسم أمين: تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي، للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012.
- 20- محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2004.
- 21- محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، دار الدعوة، الطبعة الثانية، 1993.
- 22- نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2004.
- 23- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1990.

المجلات:

- محمد فايد: الرواية النسائية الجزائرية المكتوبة بالعربية 1970/2015، دراسة بيبولوجرافية، المركز الجامعي، تيسمسيلت، المعيار، العدد، 13 جوان 2016.
- مطبوعة بيداغوجية:
- داودي سامية: "الكتابة النسوية"، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة ماستر، تخصص " الأدب والمجتمع الجديد"، جامعة مولود معمري، 2013/2014.

المواقع الإلكترونية:

- بشير مفتي: جزائريات ينحزن إلى الكتابة أولاً...والأنثى ثانياً، الموقع: <https://langue-arabe.fr> نشر بتاريخ (2014/12/18)، تاريخ الاطلاع عليه (2021/08/22).
- حمدة خميس: لماذا تكتب النساء تأملات في إشكالية إبداع المرأة، الموقع: <http://al-nnas.com/ARTICLE/HKxhames/22ez.htm> نشر بتاريخ (2009/03/22)، تاريخ الاطلاع عليه (2021/07/23).
- فضيلة الفاروق: في حوار مع عيسى بوقانون، الموقع: <http://arabic.euronews.com2011/09/19/fedela-alfarouk-literature-algeria-womens-rights> نشر بتاريخ (2011/09/19)، تاريخ الاطلاع عليه (2021/08/07).
- وفاء العسراوي: العنف في التحليل النفسي، مجلة الآداب، الموقع: al-adab.com/articl نشر بتاريخ 2018/07/25.

فهرس المحتويات

1..... مقدمة

مدخل

المرأة والكتابة في سنّ التقاعد

8..... المبحث الأول: علاقة المرأة بالكتابة

14..... المبحث الثاني: الكتابة في سنّ متقدمة

الفصل الأول

أسئلة المتون القصصية

23..... المبحث الأول: التسلط والعنف

24..... 1-العنف الذكوري

30..... 2-المرأة ضدّ المرأة.

34..... المبحث الثاني: انعدام الحرية وفقدان الذات

35..... 1-التقييد والمنع

38..... 2-المرأة كيان مهمّش

الفصل الثاني

الحفر في المحظورات واختراق الطابو

45..... المبحث الأول: المرأة وقيم المجتمع المتناقضة

45..... 1-الشرف في المجتمعات العربية

| | |
|----|--|
| 49 | 2- مساءلة مقياس الشرف في الكتابة النسوية..... |
| 54 | المبحث الثاني: المرأة بين الدين والواقع |
| 54 | 1-فتنة الجسد الأنثوي..... |
| 58 | 2- المرأة مسؤولة عن الخطيئة..... |
| 62 | خاتمة..... |
| 66 | ملاحق..... |
| 73 | قائمة المصادر والمراجع..... |
| 78 | فهرس المحتويات..... |

ملخص البحث:

الواقع الأنثوي في القصة القصيرة النسائية الجزائرية:

لقد سعينا في هذا البحث إلى الكشف عن اشتغال الكاتبة الجزائرية على قضايا المرأة ورصد واقعها الاجتماعي المتأزم فتاة وزوجة وأمًا وأرملة ، من خلال مجموعتين قصصيتين معاصرتين: "المرأة في النور المعتم" (La femme en clair-obscur) لجميلة لونيس بلحاج و "أوجاع النساء" لياسمينه بريهوم أين نستشف مجموعة من الرؤى النسوية التي تتجاوز دائرة المؤلف، وتنبش في المحظور وتستنطق المسكوت عنه، وتتادي بنقض تلك التصورات النمطية التي نسجتها الثقافة الاجتماعية حول المرأة، فجّلّ المتون القصصية النسائية تركز على الذات الأنثوية وعلاقتها بالسلطة الأبوية.